أبعاد الزمن الاجتماعي

أ.د. صلاح عبد المتعال

أبعاد الزمن الاجتماعي

أ.د. صلاح الدين عبد المتعال

مركز الدراسات المعرفية
٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

تقديم..٧
أبعاد الزمن الاجتماعي ٩
- ضع القلم...٩
- المحور الحضاري..١٠
- علم بالقلم منهجاً..١٠
- الزمن والمجتمع..١٢
تعريفات معنى الزمن في معجم المعاني الجامع الحضاري.........................١٣
الزمن والحركة والدلالة الفلسفية للزمن ١٥
نظرية النسبة للمبتدئين...١٨
الميكانيكا الكوانتية..٢١
الزمن بين المنظورين النفسي والاجتماعي والزمن الفلكي...........................٢٣
البناء الهيكلي للزمن...٢٦
أدبيات الأقدمين عن الزمن...٢٩
الزمن وقانون النسبية الاجتماعية...٣٣
المنظور الحضاري الإسلامي...٣٣
الزمن والمحاور الذهنية والعقدية..٣٦
الزمن والتاريخ..٣٩

الزمن والبعد الديموجرافي (السكاني)... ٤٠
مضمون المضمون.. في الزمن والمتغيرات الاجتماعية................................ ٤١
الزمن والمنظومة المعرفية والتقنية... ٤٤
الزمن والأبعاد الاقتصادية والسياسية والأسرية.................................... ٤٥
أثر الزمن والعمل والعلاقات الإنتاجية والسياسية................................. ٥٣
الزمن ووقت الفراغ.. ٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسر مركز الدراسات المعرفية بالقاهرة أن يقدم للقارئ العربي تلك الدراسة الهامة "أبعاد الزمن الاجتماعي" للأستاذ الدكتور صلاح الدين عبد المتعال في وقت تحتاج الأمة كلها وخاصة شبابها المثقف أن يُدرك أهمية الزمن في حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فالزمن وحسن استغلاله هو أداتنا الوحيدة لإصلاح حال الأمة. والزمن كما يتناوله المؤلف فترة محدودة ترتبط بالوجود الدنيوي ولها بداية ولها نهاية. إن الوجود الدنيوي مرتبط بالزمن، الحضارات ترتبط بالزمن، حياة الإنسان ترتبط بالزمن. هذا الزمن بالمفهوم القرآني مُسخر من قبل الله، وهو من النعم التي سيحاسب عليها الإنسان. لأن مستقبله ومصيره مرتبط بمدى استثمار الزمن.

استثمار الزمن كما يرى المؤلف يمكن أن يكون بطرق ثلاث. أولاً: العبث أو عدم الحركة أي إهدار الزمن. ثانيًا في حرام وفي كل ما يضر الإنسان. ثالثًا: وفق المنهج الإلهي أي ما ينفع وفي إطار دور الإنسان في الوجود وهو التعمير. بالنظرة الثالثة أو الطريقة الأخيرة الزمن يجب تنظيمه وحسن استثماره فيما يحقق مصالح الإنسان الفردية (النفسية، الوجدانية، الروحية، الجسمية، العقلية) والمصلحة الجماعية (العائلية، المجتمعية، الإنسانية) والمصلحة الأخروية: وفق المنهج الإلهي ولغاية الفوز في الدنيا والآخرة.

إذا رأيت عالمًا فذًا أو مخترعًا موهوبًا فوراء ذلك حُسن استثمار كامل للزمن، وإذا رأيت شخصًا قويًا في بدنه، قويًا في أخلاقه ومثله، مقبلاً على حياته برضا وسرور فإن وراء ذلك حُسن استثمار للزمن. وإذا رأيت أسرة سعيدة موفقة في أمورها المادية والمعنوية فمن السهل أن تجد وراء ذلك حسن استثماره للزمن. بل إن وقت الفراغ نفسه وهو الجانب الآخر من الزمن الذي يشغله العمل قد تغير معناه من الوقت الذي

يجب أن يسوده استبعاد العمل تمامًا في فترات الراحة والأجازات كما يقول سيرل بيرت Burt في كتابه "كيف يعمل العقل" من التوقف عن العمل إلى تنويع العمل العقلي وما المستريح عن العمل على الإطلاق بمستفيد ولكنه معرض للضرر، فهو في الحقيقة أقرب أن يصدأ منه أن يستجم، وهكذا حتى زمن الفراغ لابد أن يستثمر الاستثمار الأمثل.

تأسيسًا على ذلك كله فإنه بحسن استثمار الزمن تصنع الأمم حضارتها، وتبني تاريخها، وتحقق تقدمها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتقوى شبكة علاقاتها الاجتماعية ويكون لها مشاركتها في صناعة الحضارة، وتتقدم في مؤسساتها العلمية والتكنولوجية، وتزدهر آدابها وفنونها، وما تقدم فرد ولا نهضت أمة إلا بحُسن استثمارها للزمن. والأستاذ الدكتور صلاح عبد المتعال مؤلف الكتاب الذي نقدمه يريد أن يُهيب بالأمة وخاصة شبابها أن يُحسنوا استثمار الزمن فيما يعود عليهم وعلى أمتهم بالخير والنفع. ورغم صغر حجم الكتاب، إلا أنه كبير وغزير بمحتواه الفكري وحرارة وإخلاص كاتبه في قرع أجراس "الزمن" لدى كل أفراد الأمة لعلهم يستثمرون كل أوقاتهم في نهضة أمتهم وفي إنقاذها من كل ما يحيط بها من تحديات للحيلولة بينها وبين القيام برسالتها الحضارية العالمية.

وفق الله الكاتب العالم الكبير الأستاذ الدكتور صلاح عبد المتعال ووفق الله القارئ في حُسن فهم الرسالة المقدمة له من خلال ذلك البحث الفكري العميق.. وندعو الله سبحانه أن يجزيه خيرًا.

والله الموفق والمستعان.

أ.د. عبد الرحمن النقيب	**أ.د. رفعت السيد العوضي**
المستشار التربوي	**المستشار الأكاديمي**
لمركز الدراسات المعرفية	**لمركز الدراسات المعرفية**

بسم الله الرحمن الرحيم

أبعاد الزمن الاجتماعي

ضـــع القلم

قبل المعالجة الأكاديمية والتطبيقية لموضوع **الزمن** يُستدعى خاطر الذكريات في مراحل الدراسة قبل الثانوية (الابتدائية) عندما يوضع أطفال هذه المرحلة في تجربة ما قبل امتحان الشهادة الابتدائية في لجنة شبيهة بلجنة الامتحان النهائي (مع ملاحظة تكرار ذلك في اختبارات شهادتي الثقافة والتوجيهية) كان المدرسون المراقبون في لجان الامتحانات المشار إليها يمرون بين صفوف التلاميذ بخطوات منتظمة بين صفوف تلاميذ الابتدائية الصغار واليافعين في الثقافة والتوجيهية (حسب النظام القديم في مسميات الشهادات العامة) ينبهون بصوت جهوري عن مرور **الزمن** والباقي منه خلال تأدية الامتحانات.... مرَ من **الزمن** ربع ساعة وعلى التوالي حتى منتصف الوقت؛ ثم باقٍ من **الزمن** ربع ساعة (خمس عشرة دقيقة) ثم عشر دقائق ثم خمس دقائق ثم بأصوات عالية وحاسمة.

ضـــــع القلـــــم

لم يُقرُ التربيون المحدثون هذا الأسلوب في ظروف تأدية الامتحانات بالنسبة لجميع الشهادات الدراسية من الآثار النفسية والتربوية على التجارب الشخصية للتلاميذ خاصة الصغار منهم؛ ولكن تغير الزمن بحيازة اليافعين ساعات اليد، وتطورت أساليب التخوف والرهبة إلى زمن التهديد بالفشل للاستمرار في المراحل الدراسية الأعلى شهادات الثانوية وفرص الالتحاق بالجامعات والمعاهد العليا. وتتكرر التجارب النفسية والتربوية والاجتماعية **لضع القلم** في مجالات المباريات

الرياضية خاصة كرة القدم وأضرابها من نوعية المسابقات في مختلف الحرف والهوايات.

المحور الحضاري

عند معالجة هذا البعد يقودنا بالضرورة إلى مضمون الحضارة أو الثقافة، والثقافة التي يعنى بها "كما أشار إلى ذلك **(تايلور)** Taylor" وهى: **"ذلك المركّب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل المعتقدات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث كونه عضوا في مجتمع"**. والثقافة هي التراث الاجتماعي المتراكم على مر **الزمن** من عصور وأجيال، وتتمثل في أنماط من السلوك التي تتصل بالعرف والعادات والتقاليد والقانون والعقيدة واللغة واللهجات المحلية أو الاجتماعية؛ إذ إنها تتصل بسبل الحياة والمعيشة وأساليب الإنتاج والاستهلاك، وما يتصل بذلك من مخترعات وآلات يتفتق عن ابتكارها ذهن الإنسان واستعداداته العقلية؛ فالثقافة والتراث الاجتماعي حصيلة للنشاط البشرى والعمل والابتكار الجماعي. **أنظر: أحمد أبو زيد، تايلور. دار المعارف، ١٩٥٧).**

علَـم بالقلـم منهجاً

وإذا قلنا في مثلنا السابق **ضع القلم** فلدينا المنهج الأشمل **(عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)** (سورة العلق:٤) لنقرأ باسم ربنا العليم القدير نشأة وخلْق الإنسان وخلقه ومسار حياته بالهداية والاستقامة على هدى الالتزام بواجبات ومسئوليات الاستخلاف لعمران الأرض، والتواصي بالحق والخير، ونبذ الباطل والشر.

ويستثنى من هذه التكاليف والمسئوليات ثلاثة أنماط من الناس **رفع عنهم**

القلم؛ أي الإعفاء من الالتزامات في الكثير من العبادات والمعاملات كما ورد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ما مؤداه "**رُفِع القلم** عن ثلاث: النائم حتى يستيقظ، والصغير حتى يكبر، والمجنون حتى يبرأ"، وفى هذه الحالات الثلاث يتنوع الزمن بالنسبة للإنسان طبقا للعمر الزمني بالسنوات في مراحل الطفولة المبكرة والمتأخرة وعتبة البلوغ؛ ففي تلك المراحل العمرية يتعلم وينشأ تدريجيا على كيفية تحمل المسئولية في نفس الوقت الذي يتمتع بالعديد من الحقوق. أما الزمن بالنسبة للنائم فإنه يخضع للوظائف "البيولوجية" الحيوية و"الفسيولوجية" وظائف الأعضاء وما وراء ذلك من أسباب غيبية وردت في محكم آيات الكتاب المبين عن الرؤى والأحلام وأضغاثها مثل: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سورة البقرة: ٢٥٩)

ولم نذهب بعيدا وأمثلة أخرى كأصحاب الكهف ورؤى النبي يوسف عليه السلام وحاكم مصر في زمنه عن (السبع بقرات السمان وسنابل القمح..) وما ترتب على ذلك من مرور مصر بأزمة المجاعة وزوالها بحسن سياسة التوقُع والتخطيط الاقتصادي، ناهيك عن الزمن الكوني، كما ورد في القرآن الكريم عن آيات قيام الساعة، وتقديرا لزمن الأيام خارج العالم الأرضي (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) (سورة السجدة :٥) وأيضا (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)

(سورة هود :٧)، ومن هذه الآيات: (فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ المعارج) (سورة المعراج: ٤)؛ فجميع ذلك أجرى لأوقات موقّتة لمعانٍ قدرها الله تعالى على أحوال رتبها، ومراتب صورها.."(٢٢).

وبالإضافة إلى منهج **(ضع القلم)** للكتابة والتعليم وأداة للتسجيل والتوثيق والامتحانات الدراسية؛ ومنهج **(رفع القلم)** لإسناد المسئوليات والتكليف أو الإعفاء منها طبقا للمراحل العمرية من الطفولة إلى الكهولة والشيخوخة وأداة معرفية للمشاهدات والملاحظات العلمية وإدراكا للكون والتصورات الغيبية فيما وراءه وذلك لاقتفاء أثر مضمون الزمن كبعد رابع ومحتواه وآفاقه المكانية في المنظومة الكونية.

الزمـــن والمجتمـــع

بعد هذه الفاتحة عن منهجي **رفع القلم** و**علم بـالقلم** نحاول طرح الإفادات من خلال المعالجة الأكاديمية والتطبيقية في العلاقة بين الزمن والمجتمع أو **الزمن الاجتماعي** The Social Time، وإذا قلنا في مثلنا السابق **ضع القلم** فلدينا المنهج الأشمل **(عَلَّمَ بِالْقَلَمِ)** لنقرأ باسم ربنا العليم القدير نشأة وخلْق الإنسان وخلقه ومسار حياته بالهداية والاستقامة على هدى الالتزام بواجبات ومسئوليات الاستخلاف لعمران الأرض؛ والتواصي بالحق والخير ونبذ الباطل والشر.

الزمن بعدُ رابع في العلاقة بين الإنسان والكون والمكان

الزمن الاجتماعي The Social Time معالجة أكاديمية وتطبيقية.

يقال **الزمن الجميل والزمن الذي لا يرحم**، وهو مجال للاستباق في مجالات

العلم والابتكارات وتحريك المجتمع من **الإستاتية** Static **إلى الدينامية** Dynamic أي من حالات الثبات النسبي إلى حركة التغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية حتى على مستويات الأعراف والتقاليد والقانون أيضاً. وخير مثل أو شرِه الضربات الاستباقية في المعارك الحربية والثورات والانقلابات على النظم السياسية.

وتبدأ المعالجة الأكاديمية والتطبيقية بالتعريفات اللغوية والمنظورات الفلسفية عند الأقدمين والمعاصرين، والإفادات العلمية لدى علماء الرياضيات والطبيعة (الأشياء)، واستبصارات علوم النفس والاجتماع والتاريخ والحضارة مع إيلاء الانتباه إلى المنظور الإسلامي في التعامل مع محتوى المفهوم في العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون والزمن.

مقاربة Approach ....

تعريفات: معنى الزمن في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي

تعريـفـات

يُسَافِرُ فِي كُلِّ أَزْمِنَةِ السَّنَةِ: فِي كُلِّ فُصُولِهَا: الخَرِيفُ، الشِّتَاءُ، الرَّبِيعُ، الصَّيْفُ.

تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي الأَزْمِنَةِ الحَدِيثَةِ عَكْسَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الأَمْرُ في الأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ: العُصُورُ

زَمَن: (اسم)

الجمع: أزمانٌ، وأزْمُنٌ / الزَّمَنُ: الزمانُ، وقت قصير أو طويل / زَمَنٌ زامِنٌ: شديد / مصدر زمِنَ.

عفَا عليه الزَّمَن: تجاوزته الأحداث وصار متخلِّفًا، صار قديمًا باليًا، / مع الزَّمَن:

بمرور الوقت، / ولّى زَمَنه: انقضى عهده.

آلة الزَّمَن: أداة خياليّة أو افتراضية تسمح بالتنقل عبر الماضي والمستقبل.

زَمَن الاستجابة: الفاصل الزَّمنيّ بين حدوث المُحفِّز والاستجابة له.

زَمَن: **(اسم)** / زَمَن: جمع أَزْمِنَة / زَمِن: **(اسم)** / الجمع: زَمِنون وزَمْنَى / الزَّمَنُ: وصْفٌ من الزَّمَانة.

هو زَمِنُ الرَّغْبَة: ضعيفُها فاتِرُها / زَمِن: دائم المرض، أو ضعيف من الكِبَر/ زَمِن: (اسم) زَمِن: **فاعل** من زَمِنَ/ زَمِنَ: (فعل) / زمِنَ يَزمَن، زَمَنًا وزَمانَةً وزُمْنَةً، فهو زَمِن وزَمين، زَمِنَ الرَّجُلُ: مَرِضَ مَرَضاً دامَ وَقْتاً طَويلاً / زَمِنَ الشَّيْخُ: ضَعُفَ مِنْ كِبَرٍ أَوْ مَرَضٍ.

*** الزمن**

<u>عرفه ابن منظور</u>.......(انظر: زينب عبد العزيز- مبحث الزمان في الفكر الفلسفي والإسلامي)

الزمن: اسمٌ لقليل الوقت وكثيره...... والزمان يقع على الفصل من فصول السنة وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبه.... كانت تأتينا أزمان خديجة أراد حياتها.

عرفه الرازي:

زم ن – الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وجمعه أزمان وأزمنة.... يرى فريد الدين الزّمانُ أنّه مفهوم معقَّد لم يتمكن العلماءُ من الوصولِ إلى حقيقته بعد.

ولهذا فإن علاقة الفعل بالزمان أشمل بكثير من القدر الذي حصره علماء العربية في صِيَغٍ ثلاثٍ، وربما لم يكن غَرَضُ العلماء الوقوفَ على مفهوم الزّمانِ مباشرةً؛ وإنما أرادوا أن يتوصّلوا إلى تعريفٍ للفعل يميّزُهُ عن الاسمِ والحرفِ، فاقتصروا في

هذه المحاولة على تقسيمه إلى الماضي والحال والاستقبال فحسب. وقد سمّىَ بعضُهُمْ الصِّيَغَ بالأزمنة الثلاثة؛ لذا، فإنّ المسألة غيرُ واضحةٍ؛ حيث إن طالب اللّغةِ العربيةِ قد يكون متردِّداً حول هذه القضية، فيتساءل عما إذا كانت هذه التسميةُ تعبيراً عن الصِّيَغِ الفعليةِ أم المراتبِ الزمنيةِ؟ نعم إنّ الفعلَ بوقوعه حقيقة، لا ينفكُّ عن الزّمانِ على الإطلاق، إذ إنّ الفعلَ حاليٌّ عند وقوعه البتة، ويصبح ماضياً بعد وقوعه حقيقة، وهو مستقبل ما لم يقع.

ومن هنا لا يضيرنا أن نشير إلى بضعة أسماء يونانية وغربية انشغلت بالزمان على نحو ما؛ فمن قدماء **اليونان أرسطو وهرقليطس وأفلاطون**.. ومن **مفكري الغرب** المحدثين وأدبائه ونقاده **نيوتن وكانت ومارتن هيدجر وبِرْغسون وجان بياجيه وغاستون باشلار وولترستيس وهانزميرهوف وجين ليبرتي**.. وقد تحوّل الزمن إلى قيمة فنية عظيمة في الرواية والمسرحية حتى صار عنصراً أصيلاً فيها.

الزمـن والحـركة والدلالة الفلسفية للزمن

إن الزمان علة التعاقب والتسابق في الوجود والمكان علة التكثر والافتراق في الحضور؛ فهما سببان لاختفاء الموجودات بعضها عن بعض؛ فإذا ارتفعا في القيامة ارتفعت الحجب بين الخلائق فيجتمع الخلائق كلهم الأولون والآخرون (قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ) (سورة الواقعة: ٤٩ - ٥٠) إن أصل بحث الفلاسفة في الزمان وتفسيرهم له هو عبارة عن تفسير جوهر ماديته مرتبط بالحركة بالأشياء.

قالوا زمان هو معنى الحركة أو مقدار الحركة سواء كانت هذه الحركة في

السرعة والبطء.

أما مفهوم الزمن في اصطلاح علماء المسلمين فهو مرتبط بمعناه اللغوي، فهو يعني ساعات الليل والنهار، ويشمل ذلك الطويل من المدّة والقصير منها.

ولا بد من الإشارة هنا إلى وجود ارتباط وثيق بين مفهوم الزمن وبين دلالته الفلسفية، ولذلك فإنّ قواميس اللغة، وكتب التأريخ والتفسير، عندما تتحدث عن مفهوم الزمن، تتخذ مساراً فلسفياً مقصوداً، بحيث يصعب بالتالي إدراك المعنى الأصلي للزمن بعيداً عن المذاهب الفلسفية.

عرفه **الكندي** بأنه مدة الحركة أو هو عدد الحركة؛ لأن فكرة الزمان تمكننا من معرفة السرعة والبطء في الحركة. بينما (الآن) ما هي إلا أداة تصل الزمان الماضي بالحاضر، ولما كان بقاء لها فهي ليست زماناً؛ وإنما هي إدراك لمعنى الزمان لأن الزمان لا وجود له في ذاته.

عرف **ابن سينا** الزمان على النحو الذي عرفه به أرسطو بأنه (عدد الحركة إذا أفصلت إلى متقدم ومتأخر لا بالزمان بل بالمسافة وإلا لكان بيان وجوده بيانياً دورياً).

ابن رشد في تعريفه بين أنه يراه قديماً أزلياً وأن وجوده بُين بنفسه، وعده من أحد أصناف الكم ولكون أجزائه إما ماض وإما مستقبل وأنه ليس شيء منه يمكن أن يشار إليه بالفعل فإن أقرب شيء يشبهه هو الحركة، ولا يمكن أن نتصور زماناً إن لم نتصور حركته، كما عرف هرقليطس الزمان ذلك الموجود الأزلي الذي هو عبارة عن التغير المستمر للموجودات؛ فبذلك يكون الزمن مقدار للحركات والسرعة لهذه المتغيرات حيث قال بمقولته الفلسفية "إن كل شيء في تغير إلا التغير فهو ثابت لا يتغير" (١٤) "وهذا التغير لا يحدث إلا عبر الزمن".

عرفه أفلاطون أنه مقدار الحركة في الموجودات التي هي صورة للمتغيرات، وأن الزمان اعتباري أبدي، وأنه مخلوق ليس له نهاية وليس له بداية وليس له حيزاً وغير مقسم إلى أجزائه الثلاثة وإنما يكون كذلك عند البشر على أساس صورة الزمان الجوهرية؛ لكون الجواهر لها أعراض تُعرف من خلالها؛ فإن العرض لهذا الزمان هو قياس الزمان ومعرفته من خلال الحركة والمتابعة لكل حركة من حركات الأفلاك، والزمان يكون معروف المقدار عندما خلق الله هذا الكون، وهذا لا يعني عدمية الزمان قبل ذلك، وإنما هو أبديته وأزليته، وأن استمراره ليس بالزمان وإلا لزم افتقار الزمان إلى زمان آخر؛ وإنما استمراره لأنه من قبل علة تامة وهو الله سبحانه وتعالى (١٥).

قال آينشتين: إن هناك طريقتين فقط لفَهْم الزمن، إمّا نفسية، أو فيزيائية، أمّا ما يُسمَّى بالزمن الفلسفي، فهو غير موجود على الإطلاق.

تعليق

سوف نظل ننظر للزمن والفترة الزمنية التي تمضى قدماً على أنهما نتيجتان طبيعيتان للموقع (المكان) والدوران -وخلاف ذلك فلن يفهم الناس العاديون أي شيء، كما لا يهمهم أي خلاف نظري بشأن هذا الأمر أصلاً فهذا فقط هو ما يستطيعون فهمه وقياسه- مع استثناء مشاهدة البعيد للغاية فنحن لا نرى منه سوى الماضي فقط -بسبب الضوء- مهما كانت سرعته مذهلة، ونظرياً فإن أي مشاهد يقف خارج الكون كله لن يوجد لديه ماض ولا حاضر ولا مستقبل؛ فالكل مجتمع لديه في ذات اللحظة لكن ذلك يحدث عند الخالق فقط وبالتالي فهذا موضوع آخر تماماً، إذن هو موضوع ديني لا ترصده الفيزياء، وقد لا تناقشه الفلسفة؛ فكلاهما أقل بكثير مما

هو مفترض أن يتواجد لدى الخالق، وما مفترض أن بوسعه عمله بلا حدود وفى "لا زمن" - فيستحيل على العلم "البشرى" أن يناقش هذا الأمر في الدين إذ يصطدم البشر بما لا يعلمون ويصطدمون بما ليس لديهم من وسائل لسبر أغواره- فلنقتصر على مناقشة ما نعلم وما نرصد من خلال ما بين أيدينا من أدوات وما نستطيعه من تصورات ومفاهيم تجريبية فهذان فقط هما مجال "العلم".

المكان والزمان والسرعة هي مقاييس معروفة في نظر الفيزياء الكلاسيكية (فيزياء جاليلو ونيوتن) فكلنا نقيس المسافات والزمن بنفس الطريقة والكيفية.

نظرية النسبية للمبتدئين

آيـنشتايـن

نحتاج قبل الدخول إلى مفاهيم النظرية النسبية تعريف مفهوم الأبعاد المكانية والزمنية حيث إن كثيراً ما تعرف النظرية النسبية على أنها نظرية البعد الرابع؛ فما هي هذه الأبعاد الأربعة؟ وكيف نستخدمها؟ ولماذا آينشتاين العالم الأول الذي أكد على ضرورة استخدام البعد الرابع (الزمن) بالإضافة إلى الأبعاد الثلاثة التي اعتمد عليها جميع العلماء من قبله؟...

تطور مفهوم الأبعاد مع تطور الإنسان، وأقصد هنا تطوره في الحياة؛ ففي الزمن الأول كان الإنسان يتعامل مع بعد واحد في حياته، وهذا جاء من احتياجه للبحث عن طعامه؛ فكان يستخدم رمحه لاصطياد فريسته، وبالتالي كان يقذف رمحه في اتجاه الفريسة حيث ينطلق الرمح في خط مستقيم، وحركة الرمح هنا تكون في بعد واحد وسنرمز له بالرمز x. ومن ثم احتاج الإنسان لأن يزرع الأرض، وبالتالي احتاج إلى التعامل مع مساحة من الأرض تحدد بالطول والعرض، وهذا يعد استخدام بعدين هما

x وy لأنه بدونهما لا يستطيع تقدير مساحة الأرض المزروعة. وعندما احتاج الإنسان للبناء أخذ يفكر ويحسب في البعد الثالث وهو الارتفاع. وهذه هي الأبعاد الثلاثة x,y,z والتي كانت الأساس في حسابات الإنسان الهندسية، وحتى مطلع القرن العشرين اعتبرها الإنسان كافية لحل كل المسائل التي تقابله على سطح الكرة الأرضية. وحتى يومنا هذا نعتمد على الأبعاد الثلاثة في تنقلاتنا وسفرنا وحساباتنا.

آينشتاين هو العالم الوحيد الذي فكر في البعد الرابع (الزمن)، وقال إن الكون الذي نعيشه ذو أربعة أبعاد وهي الطول والعرض والارتفاع والزمن. وأدخل البعد الرابع في جميع حساباته. يستطيع الإنسان تخيل البعد الواحد والبعدين ويمكن رسمهما، ولكن البعد الثالث يحتاج منه إلى قدرات تخيلية إضافية، ولكن من الصعب التفكير والتخيل بالأبعاد الأربعة معاً، وخصوصاً أن البعد الرابع وهو الزمن لا يمكن رؤيته ولكننا نعيشه وندركه كمسلّمة من مسلمات الوجود. فإذا اعتبرنا أن هندسة الكون تعتمد على أربعة أبعاد فإن حساباتها ستكون غاية في التعقيد ونتائجها غير متوقعة، وهذا ما فعله آينشتاين في نظريته النسبية.

أحمد زويل

وكشف العالم المصري الحائز على جائزة نوبل في العلم عن اختراع جديد توصل إليه وهو ميكروسكوب رباعي الأبعاد، يرصد حركة الإلكترونات في أشباه الموصلات (**انظر / قاهرة- الوئام**):

وفى مقاله عن آخر ما توصل إليه بجامعة «كالتيك» في عالم «النانو إلكترونيكس» أو الإلكترونات متناهية الصغر، وهو ميكروسكوب رباعي الأبعاد، يرصد حركة الإلكترونات في أشباه الموصلات، ولأول مرة نرى سرعة الإلكترونات التي تفوق

أكثر من ألف مرة سرعة الصوت ويمكننا التحكم فيها، والمادة الأساسية في أشباه الموصلات هي السيليكون التي تنتج من الرمال وكل المواد الإلكترونية التي تعمل في أجهزة الموبايل الذكية والحواسب والسيارات وغيرها تعتمد على السيليكون وأشباه الموصلات وهو ميكروسكوب رباعي الأبعاد يرى الزمن.

وأضاف العالم المصري: بهذا الاكتشاف نقدر أن نتحكم في سرعة الصوت، ونلحظ التغير في هذه المواد وهي «باليستية» في أقصر وقت. وسوف يؤدي إلى تطورات هائلة في أجهزة الكومبيوتر الفائقة «سوبر كومبيوتر»، وفي قدرات التخزين الرقمية الهائلة.

وأوضح زويل أن: هذا الاكتشاف ليس نتاجاً عملياً منفرداً وإنما هو جهد مجموعة أو فريق بحثي في «كالتيك» ولا يوجد في الشرق الأوسط خارج جامعة «كالتيك» من يستطيع أن يرى حركة الإلكترونات إلا في مدينة زويل بمصر، فلدينا بها ميكروسكوب رباعي الأبعاد مثيل لما هو موجود بجامعة «كالتيك».

* تهدينا البداهة إلى حقيقة أن الزمن ليس ظاهرة مستقلة، ولكنه تجريد للحركة والأحداث في معنى من المعاني.

لقد اعتُمِدَتْ –ولا زالت تُعتمَد– **ظاهرةُ الحركة في قياس الزمن.** فبدءًا من الساعة الرملية وانتهاءً بساعة ليزر الميثان، كانت الحركة –ولا زالت– عماد ذلك القياس.

ثمة ملاحظة لا بدَّ من إيرادها؛ فتعريف الزمن في الفيزياء يكاد أن يكون أقل تعريفات الزمن عمقًا بالمقارنة مع المناهج الفلسفية المتباينة. تريحنا **نسبية آينشتاين** –

ولو إلى حين– من عناء تصوُّر برهة زمنية مطلقة بالغة الامتداد وَهَبَها استيلاد الكونُ للحياة. ففي النسبية، لكلِّ مرجع مكانُه وزمانُه http://www.maaber.org/issue

انظر: فائز فوق العادة

الميكانيكة الكوانتية Quantum Mechanics

لقد تغيرتْ صورة العالم من منظور علم جديد ولد مع مطلع القرن الماضي هو **الميكانيكا الكوانتية** ويستخدم **ميكانيكا الكم** (وهو مصطلح فيزيائي لوصف أصغر كمّية من الطاقة يمكن تبادلها بين الجسيمات، ويستخدم للإشارة إلى كميات الطاقة المحددة التي تنبعث بشكل متقطع، وليس بشكل مستمر). كثيراً ما يستخدم مصطلحي فيزياء الكم والنظرية الكمية كمرادفات لميكانيكا الكم. وبعض الكتّاب يستخدمون مصطلح ميكانيكا الكم للإشارة إلى ميكانيكا الكم غير النسبية.

* ويعنى بها أيضاً: **(عدم التناسق بين التصور الموضوع حينها لشكل الذرة، حيث كان يتم اعتبارها كمجموعتنا الشمسية بتمركز النواة في الوسط ودوران الإلكترونات حولها. غير أنه وبإغفال الشحنات الكهربائية التي تتحول نتيجة الدوران السريع للإلكترونات إلى طاقة كهرومغناطيسية تبدد طاقة الإلكترونات مما يجعلها تصطدم بالنواة في جزء من الثانية لنفاد طاقتها مما يؤدي إلى انهيار الذرة، وهذا غير واقعي لذا جاءت الحاجة لنظرية جديدة تعطي نموذجاً آخر لتكوين الذرة).**

يختلف وتُسقِط الميكانيكا الكوانتية الصفةَ المقرَّرة للعالم محولة ذلك العالم إلى مجموعة من الأحداث العشوائية الاحتمالية الفكران النسبوي والكوانتي فيما يتعلق بالزمن: فالزمن، وفقًا للمدرسة الكوانتية، هو تيار مطلق يمتد من الأزل إلى الأبد؛ أما

الميكانيكا الكوانتية فلا تعدم المفارقات الزمنية.

* ألم تسبق البوذية القديمة **الميكانيكا الكوانتية** في اختزالها السلسلة السببية إلى سلسلة لا مادية؟ علينا أن نتذكر أن الزمن في الفيزياء تقليد للدورات الطبيعية ونموذج لها، وأن الطابع الموضوعي للمكان والزمان ينبثق من إقحام **المكان والزمان كعنصرين أساسيين في المعادلات الفيزيائية**

* لا نعرف على وجه التحديد كيف يتعامل الدماغ مع الزمن وكيف يدركه. على أن ما نعرفه هو أن استشعارنا للزمن أقل من تحسُّسنا للمكان بحوالي ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ مرة. نستطيع أن نعزو ذلك إلى الفجوات الزمنية التي أتينا على ذكرها سابقًا. بهذا تضعنا الميكانيكا الكوانتية، فيما يخص الزمن، على مساس مع الفلسفة. فما دام الأمر احتماليًّا برمَّته فلا مناص، إذن، من اللجوء إلى بعض **المقولات الفلسفية** لإيضاح ما نحن في صدد إيضاحه.

* إشارة لا بدَّ منها قبل أن ندلف إلى **عالم الفلسفة** بحثًا عن ضالتنا المنشودة: الزمن. إن العالم احتمالي من منظور الميكانيكا الكوانتية؛ وهو حتمي مقرَّر، كما تراه النسبية. وقد سبق أن عَرَضْنا خلافات أخرى بين وجهتي النظر النسبية والكوانتية. لكن الغريب أن وجهتي النظر المذكورتين تلتقيان فيما بينها، لا بل وتتفاعلان مع عقول المجرِّبين؛ **ويبدو العالم بذلك كلاً موحدًا، لا انفصال فيه ولا أجزاء.** ألا تذكِّرنا هذه النتيجة بوجهة نظر ماخ التي قامت عليها نظرية النسبية، والتي ترى في العالم كلاً موحدًا يُكبَح كلُّ جزء فيه بفعل الأجزاء الأخرى؟ هل تعني استحالة التدخل في أحداث الماضي أن كلَّ ما تحقَّق وما وُجِدَ قبلاً هو، في مجمله، خطة مقررة للأحداث المستقبلية؟ وماذا عن

أمر الاختيار الأخلاقي إن كانت القضايا كلُّها قد قُرِّرَتْ سابقًا؟ صحيح أن الزمن يظهر كقوة فعل، مثل قولنا: "الزمن أكل الصخور"، كما أنه يمثل أهدافًا معينة، كتأكيدنا أن "الزمن سيقرِّر" أو أن "الوقت الملائم سيأتي". لكن لا شيء يتحرك في المكان وحده أو في الزمان وحده؛ حتى الزمن ذاته لا يمكن أن يتحرك من دون المكان. لا بل إن الزمن لا يستطيع الحركة في معزل عن التفكير.

الزمن بين المنظورين النفسي والاجتماعي، والزمن الفلكي

يعتبر تصنيف الزمن الفلكي هو مفهوم واحد من عدة مفاهيم للزمن. وتختلف مثل هذه المفاهيم في مجالات الفلسفة وعلم النفس والاقتصاد. وثمة تعريف إجرائي للتعبير عن الزمن في استخدامه العام يوضح أن الظواهر الاجتماعية غالباً ما يكون لها إطار مرجعي بما يعني أن وحدات الزمن غالباً ما يحددها إيقاع الحياة الجمعية. وتكمن الحاجة للتعاون الاجتماعي في جذور الأنساق الاجتماعية للزمن. ويختلف الزمن الاجتماعي نوعياً أو كيفياً طبقاً للمعتقدات والعادات العامة للجماعة أو المجتمع (Sorokin & Merton **سوروكن وميرتون)**، ويتسم الزمن الاجتماعي بعدم الاستمرارية إنما تتقطع أوصاله بالتواريخ المحددة. وتنشأ جميع نظم التقويم للزمن بمقتضيات الاحتياجات الاجتماعية؛ حيث إنها تنشأ من التباين الاجتماعي والمجال الواسع للتفاعل الاجتماعي. ومن الممكن للمدخل الاجتماعي للزمن أنه باستخدام المناهج الملائمة سيكشف عن الأسبقيات الاجتماعية في مضمار الزمن الاجتماعي، هو خروج على الذاكرة المعرفية، من ذلك أن السياق الاجتماعي يغدو مصادرة فعلية عند اقتفاء أثره؛ مما يُفضي إلى حَجْبِ الحقيقة بغلالة لا تمتُّ إلى الحقيقة المبتغاة بصلة. ولا أدلَّ على ذلك من أن الزمن الاجتماعي صار يقوَّم بالنقود؛ بل لقد غدا أغلى منها! إن

الصناعيين والمحاربين المعاصرين يحاولون استعارة الوقت من المستقبل. وتقود الوتائر المتسارعة للإنتاج إلى تساؤل يتعلق بإمكانية إنتاج الزمن، تمامًا كما هي الحال لدى إنتاج أية سلعة أخرى. هذه الإمكانية مستحيلة. وتضفي هذه الاستحالة راحةً على أفئدة طلاب الحقيقة، إن لم يكن لسبب فلأن الاستهلاك يقصِّر الزمن ولا ريب. إن الزمن الاجتماعي تافه. كذلك التوقيت هو مجرد ممارسة تافهة.

* كانت أحداث قياس الوقت في الماضي تختلف وتتباين بتبايُن النشاط المقيس واختلافه، وقد شهد العصر الحديث توحيد تلك الوحدات، مثلما تمَّ توحيد النَّقْد (العملة) على هامش تبسيط عمليات الإنتاج وتسريعها. **نجم عن ذلك اغترابٌ في علاقة الذات بالزمن**. فكم هي مضجرة، مملة وكئيبة، تلك الساعات الطوال التي نقضيها في عمل نعدم أيَّ اتساق معه، وتفرضه علينا **الاشتراطات الاجتماعية**؛ وكم هو مفرح ووثَّاب ذلك الزمن الذي يمرُّ بنا، بينما نحن نقدِّم جهدًا اخترنا بَذْلَه في معزل عن أية قيود.

ومن المنظور النفسي لا توجد نفسٌ بلا زمن؛ لكن لا يوجد زمن بلا نفس. تتعزز هذه المقولة بتأكد الفروق الفردية مع **تقدُّم السن**. يكوِّن الوعي والزمن والنَّفْس محيطًا واحدًا لا انفصام فيه. من هنا يبدو الزمن الخام صعبَ التوصيف. كذلك شأن العلاقة بين لقطة الحركة وبين آنيَّتها الظاهرية. لذا لا يمكن أن تُعزى الصلةُ بين الإحساس بالوقت وبين الممارسة إلى أولوية أيٍّ منهما. إن الظاهرتين الأخيرتين عمليتان مكررتان، وليستا تلقائيتين أو أصيلتين. لذا كانت العلاقة البيولوجية الاجتماعية علاقة طقسية وحسب، أي طقسية ظاهرتية، لا تمتُّ إلى المفهوم العميق

للزمن بأية صلة.

* إن للزمن في علم النفس طيفًا واسعًا؛ فبدءًا من علم النفس الكوني الذي يطرح مصادرة غريبة، هي مصادرة الذاكرة، وانتهاءً بالساعة البيولوجية القابعة في عمق كلِّ كائن، نجد أن علم النفس يزودنا بذخيرة لا نهاية لها من المعلومات الزمنية البالغة الأهمية.

ما الذي نقصده بمصطلح "الآن"؟ قد يكون الآن هو الوقت برمَّته، لأن الماضي كان آنًا؛ والمستقبل بدوره سيكون آنًا آخر. يتصور البعض الآن وكأنه لحظة من الخلود. إن الخلود هو الأطروحة المناقضة للزمن، لكنه من طبيعة الزمن ذاتها، وأدنى مستويات الخلود هو المفهوم المجسِّد للزمن كلِّه.

إذا كانت القوانين الناظمة للكون خالدة، فستكون ممثِّلة للخلود، حتى لو لم يكن ثمة خلود. وقد اتفقت البوذية مع نيتشه على أن كلَّ فرد هو كون بأكمله، وأن كلَّ لحظة هي الخلود بأسره. أما ماركس فقد رأى أن العلاقة بين الأفكار خالدة، بينما الأفكار في ذاتها ليست خالدة. إنها معضلة كبرى –مشكلة الآن-، أمن الممكن تعريف الزمن بآن أو آنات متتالية؟ قد لا يكون مثل هذا التعريف ممكنًا، ذلك أن الآن يمضي، ويُفقَد بذلك موطئ قدم لتعريف الزمن، ومع هذا الفقدان يفقد الآن معناه. ولو استعدنا صورة السهم الزمني الوحيد الاتجاه، الممتد من الأزل إلى الأبد، لما وجدنا فيها آنًا. إن الآن يفقد معناه أيضًا في هذه الصورة.

إذا كان الزمن في مفهومه العام عند الكبار هو الزمن الكرنولوجي الذي يعتمد على الأجزاء المجزأة من الثانية والفيومتو ثانية -حسب المنظور الزويلي- والذي

اصطلح عليه العرف بالزمن الاجتماعي، فهو عند الطفل إدراكاً مجرداً يصعب استيعابه في هذه المرحلة العمرية؛ فحاضره نفسي في المقام الأول لأن الذي يحكمه المشاعر الوجدانية بالمتعة أو الألم. يتضح ذلك خلال تنشئته الاجتماعية على التدرج في تعلمه تحمل المسئولية، وعلى الالتزام بالصواب وتجنب الخطأ؛ فهو في الأول قد يحيط به مشاعر من الآلام بسبب الزجر أو العقاب والضغط عليه لتعلم أداء الواجبات، وفى الثانية تشمله الأحاسيس بالفرح والسرور وسعادته برضاء الوالدين والتعايش مع رفاق اللعب أو الترويح، ومن ثم فإن زمنه النفسي هو تمهيد لغرس وممارسة القيم وتحمل أعباء الالتزام بالقيم الأخلاقية والمسئوليات الاجتماعية مع تقدمه في المراحل العمرية.

البناء الهيكلي للزمن Time Structure

البناء الزمني في النسق الاجتماعي هو المنهج التنظيمي للأحداث في علاقاتها مع مرور الوقت أو الزمن، بدءاً من الاجتماعات الدورية السنوية وجدول الحصص الدراسية أو حين يخلد الأطفال إلى النوم، ويعمل البناء الزمني من خلال ثلاثة طرق أساسية: (١) الأنشطة أو الأعمال المنظمة بدرجات متفاوتة في علاقاتها بالزمن أو الوقت.(٢) مدى مشاركة الناس في النسق الاجتماعي عادة ما يكون في حدود الإطار الزمني حيث يأمل أعضاء الأسرة طول عمر أعضائها بينما يتوقع الدارسون من الطلاب التخرج بأسلوب بما تعارف عليه من السلاسة. The Blackwell Dictionary - Allan G Johnson

(٣) تتباين وجود الأنساق ذاتها مع تغيرات الزمن، وقد نشأت اللجان الطارئة طبقاً من أجل تحقيق هدف مباغت، إن أنساق المؤسسات كالدولة ودور العبادة قد نشأت

أو أسست لتظل باقية عبر الزمن (**انظر بيترم سوروكن** Sorokin Pitirim **الدورية الأمريكية لعلم الاجتماع** American Journal of Sociology. **في الزمن الاجتماعي،** Social Time **تحليل بنائي وظيفي، في الدورية الأمريكية لعلم الاجتماع).**

وفى مجال سوسيولوجيا الزمن ناقش إميل دوركيم (Emile Durkheim 1858-1917) القدرة الماكرة للزمن عندما تناول كيف يجد الزمن الاجتماعي الفرد إذا ما أراد إدراكاً فردياً للزمن بأن ينظر إلى العوامل الاجتماعية الثقافية التي تقومه بخلقه وبلورته، وخاصة أن المصطلحات الزمنية تعتمد دائماً الطريقة التي أثر بها التطور التكنولوجي في العلاقة بين الأفراد وبيئاتهم الطبيعية وقدراتهم المنتجة لتلبية حاجاتهم، إن البناء والتركيبات الاجتماعية مثل السياسة والاقتصاد والتاريخ الثقافي، فضلاً عن الدين والفلسفة واللغة تساهم في بلورة أفكار وسلوكيات الناس تجاه الزمن. (**انظر: على شاكر الفتلاوى، سيكولوجية الزمن).**

وقد لوحظ أن أنماط السيادة الثقافية الموجهة لقيم الأفراد تتغير خلال الثقافات الثانوية، فعلى المستوى الفردي تظهر المصطلحات الزمنية، التأثيرات الثقافية والثقافة الثانوية، وحيث إن الأفراد يتبنَون على نحو مختلف باعتماد عوامل معينة ذكرناها، فضلاً عن الإحساس بالقوة الاجتماعية أن التجمع، أو القدرة على التحالف والطبقة الاجتماعية، فإن توجهاتهم الزمنية تصبح مختلفة أيضاً من شخص إلى آخر، ذلك أن الإحساس بالزمن لا يكون بالوراثة أبداً؛ بل بالاكتساب البطيء التدريجي للثقافة، والبناء الزمني للثقافة يقوم بخلق مجال عمل لتنظيم الشخصيات الفردية التي تظهر أنفسها، سواء بشكلها العام الموحد أو الفريد المتميز خلال عملية التوافق مع البيئة المحيطة، أي أن المصطلحات الزمنية هي انعكاسات للأفكار الثقافية التي تنشأ

هي أيضاً وتتطور وتتغير مع الثقافة؛ فأنماط الزمن ونظمه تتغير من ثقافة إلى أخرى، وخلال التاريخ فالذين يؤمنون بمصطلحات التقدم يميلون إلى رؤية أن الزمن يتحرَك على نحو خطى، أي أن الزمن يتدفق باستمرار من الماضي إلى الحاضر وإلى المستقبل. **(ن.م.س).**

وعلى هامش الإفادة السابقة استخلص (الفتلاوى) من دراسة لنيوستروم ودافيز Newstrom and Davies. أن بعض الثقافات تركز على قيم ضرورة التهيؤ والاستعداد للمستقبل متمثلة بقيم (المدخرات والمصروفات)، وخصائص الديمومة، وتتسم هذه المجتمعات المتمثلة في (هونج كونج والصين واليابان) بتوجهها الزمني طويل الأمد، وفى ثقافات أخرى تقيم الماضي وتركز على الحاضر باحترام عال للأعراف أو التقاليد، والحاجة إلى إنجاز التزاماتها وشعائرها الاجتماعية التاريخية، وتتمثل هذه المجتمعات ب(فرنسا وروسيا وأفريقيا الغربية) لديها توجه زمني قصير الأمد.

إذا كان هذا المزاج العام للزمن –إن جاز التعبير- فما هو محتوى الزمن عند الأقدمين والمحدثين من حيث تصورهم النظري، من جهة، والعملي والتطبيقي من جهة أخرى كما هو واقع في مجتمعاتهم؟ وقد تم التوضيح في مفادات تعريفات الأقدمين للزمن حسب أقاويل علماء اللغة والفلسفة والفيزياء في الحضارات الإنسانية المتتابعة. **(انظر: زينب عبد العزيز مرجع سابق مبحث الزمان في الفكر الفلسفي والإسلامي).**

أدبيات الأقدمين عن الزمن

تحدث المتنبي عن أزلية الزمان بقوله

صَحِبَ الناسُ قبلنا ذا الزمانا............. وعَنَاهم من أمره ما عَنَـانا

*** وعن الفترة الزمنية المنطقية قال المعري**

يُفني ولا يفنى ويُبلي ولا يبلى.................... ويـأتـي برخـاء وويـل

وإني وإن كنت الأخير زمانه.................... لآتٍ بما لم تستطعْه الأوائل

تصوَّر المعري أزلية الزمن **

ولـو طارَ جبريلُ بقية عمره.............عن الدَّهر ما استطاع الخروج من الدهر

نزول كمـا زال أجدادُنـا.................... ويبقـى الزمـانُ على ما ترى

أما المكان فثابت لا ينطـوي..................... لكـن زمـانك ذاهبٌ لا يثبت

وما الإنسان في التطواف إلا.................... أسـير للزمـان فمـا يفـك

وقت يضيع وعمر ليت مدَّته..................... في غير أمَّته من سابق الأمم

منظور إسلامي:

المحور الحضاري

عند معالجة هذا البعد يقودنا بالضرورة إلى مضمون الحضارة أو الثقافة.

ويتشكل محتوى الزمن من عناصر الثقافة والتراث الاجتماعي والتي يمكن أن التي يعيش في ظلها. وتحدد **نوعية الحياة** التي يتميز بها الإنسان في الحضارة؛ إذ

يمكن أن تنشأ علاقات بين نوعية الحياة ونوعية الإنسان والتكنولوجيا للارتقاء بمستوى التنمية الاقتصادية، كما يرى ذلك أولج زينام Oleg Zinam باعتبار أن التنمية الاقتصادية هي جانب أساسي لكل أبعاد التنمية الاجتماعية ولكن ليس أهمها، فهدف التنمية الاقتصادية هو تحقيق الرخاء الاقتصادي الذي هو مجرد جانب واحد من الرفاه أو السعادة البشرية التي تطلق عليها نوعية الحياة Quality of life. وبالتالي لا يمكن فصل **نوعية الحياة** عن **نوعية الإنسان** التي تحدد قدرته أو كيف يستخدم المجتمع الهياكل التنظيمية وبناءات السلطة لاستثمار موارده البشرية والطبيعية تماماً كاستثمار العلم والتكنولوجيا. وما هو الهدف من هذا الاستثمار؟. وقد نضع هذا المعنى بصياغة أخرى أن **نوعية الإنسان** هي معرفة غايته من تسخيره لموارد الطبيعة والعلمية والتكنولوجية واستثماره للموارد البشرية وذلك بوسائل التنظيمات الاجتماعية والسياسية التي اصطنعها المجتمع الذي يعيش فيه.

وإذا كانت **الحاجات الإنسانية** من أهم ركائز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتشغل أهم المساحات فيها فإن **التخطيط الزمني** للوفاء بها وتحقيقها للإنسان والمجتمع، يعتمد على القدرة والمهارة التطبيقية للربط بين أوليات الترتيب الهرمي للحاجات الإنسانية كما يرى **إبراهام ماسلو ١٩٠٨-١٩٧٠**؛ عن علاقة الأجزاء المكونة لنوعية الحياة ذات العلاقة الوشيجة بالمكونات المتداخلة في المنظومة الكلية للتنمية بمفهومها الواسع التي تحتوى على المجالات الأساسية لها والتي تشكل نوعية الحياة بأبعادها: **الأيكولوجية البيئية، والعسكرية للدفاع والأمن، والاقتصادية من أجل الرخاء المادي، والسياسي لتعزيز الحرية وحقوق الإنسان، والاجتماعي لتدعيم التوافق والعدالة، والحضاري لتدعيم قيمها وأخيراً ليس آخراً التنمية الأخلاقية** التي تهدف إلى

تحسين نوعية الحياة من أجل الكمال الأخلاقي للإنسان.

إن الصعود التدريجي إلى القمة الهرمية لمنظومة الوفاء بالحاجات الإنسانية هو ضبط وتحسين المسار نحو الوضع المثالي لإنسانية الإنسان، وإذا كان **ماسلو** أورد ذلك فهو ترديد في ما لا تختلف عنه أغلب العقائد والديانات والقيم الإنسانية في كبرى الحضارات العالمية، وخير الأمثلة لوجوب تعزيز القيم الأخلاقية هي في الديانات السماوية التي خاتمها الإسلام بمنظومة القيم القرآنية، والتي جسدها الرسول **r** وكما روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله **"حَدَّثَنَا الْمَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى ، عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ" .**

إن البعد الزمني حتمي الوجود فيما سبق عليه القول بالنسب لمكونات الحضارة والثقافة ونوعيات الحياة التي تبغي الوفاء بحاجاته الأساسية المادية واللا مادية."Meta Needs" وعلى قمتها تمجيد Upgrading القيم الإيجابية الأخلاقية كاستثمار الزمن، والتقليل من شأن Downgrading القيم السلبية كإهدار الوقت؛ وهى المعوقة لمسارات التنمية وتحقيق الرخاء والرفاه الاقتصادي والاجتماعي.

إذا كان من الممكن تحديد الإطار الزمني في دراسات الجدوى للمجالات الاقتصادية والاجتماعية في أبعادها المادية أو الشيئية، كالتقدير المسبق للخطط الاقتصادية قصيرة أو طويلة الأمد كالخطط السنوية أو الخمسية على سبيل المثال؛ أو حساب التوقعات الزمنية للمشروعات المستقبلية ؛ فإنه من الصعوبة بمكان أو من المستحيل أحياناً أن تحدد الأطر الزمنية للتنمية الأخلاقية أو القيمية لأن ظواهرها غير شيئية يصعب رصدها أو ملاحظتها؛ إلا بحيل علمية منهجية كائنة في المناهج

الأنثروبولجية التقليدية كمنهج الملاحظة بالمشاركة في جماعات المواجهة Face to face relationship أو المحلية Communities كالقرى أو الأحياء شبه الحضرية؛ أو منهج تحليل المضمونContent Analysis، خاصة بالنسبة لأدبيات التراث التحريري المكتوب والشفاهي غير المكتوب لأي شعب من الشعوب.

وتخضع المنظومة القيمية والأخلاقية إلى مطرقة التخلف الثقافي Culture Lag وهى الفجوة الثقافية بين الاستباق بين المتغيرات المادية وغير المادية خاصة في المجتمعات النامية؛ مثل التنامي الاقتصادي والصناعي والتكنولوجي الفائق في سرعته الزمنية؛ والتنامي القيمي والأخلاقي في إيقاعه البطيء.

إذا نحن بصدد تحديات بين حاصل ضرب **الزمن** × المحاور البنائية للمجتمع ووظائفه؛ حيث تختلف النتائج بين الحسابية الاجتماعية المادية أو الشيئية والأخرى اللا مادية أو المعنوية أو الروحية؛ ففي الحالة الأولى (المادية) تخضع المعادلة إلى قواعد المنهج الكمي والتحليلات الإحصائية، وفى الحالة الثانية (المعنوية) تلوذ إلى المنهج الكيفي في الوصف والتحليل والتفسير.

فإذا كان ثمة معادلة بين الزمن والأبعاد المكانية في الطول والعرض والارتفاع؛ فإن المعادلة جائزة بين الزمن والأبعاد الحضارية والاجتماعية، وقد يكون هذا ترجمة للمقولة مالك بن نبي عن شروط النهضة والتجديد الحضاري في تفعيل العلاقة بين **الإنسان** (المجتمع) و**المكان** (الكون والبيئة) والوقت (**الزمن**).

والتفاعل في هذا المقام يعنى التغيير والحركة والتغيير قاعدة عامة لكل حركة تاريخية حضارية.

الزمن وقانون النسبية الاجتماعية

وما دام ثمة تغيير وحراك جرى في الزمن الماضي وحادث في الحاضر ومتوقع في المستقبل؛ فإن أبعاد الأزمان تمثل الأرضية أو الخلفية أو الآفاق الحضارية التي تتفاعل فيها العلاقات الاجتماعية وتبقى التباينات في الظواهر الاجتماعية (بمعناها الواسع) في الزمن والمكان. وقد يفسر ذلك القاعدة المنهجية **لقانون النسبية الاجتماعية**؛ مثل أن تجرَّم أنماط من السلوك في نفس المجتمع في زمن ولا تجرَّم في زمن آخر؛ أو تجرَّم في مجتمع دون الآخر في نفس الزمن. وذلك مثل الزواج الأحادي أو التعددي، أو تحويل صرف العملات الأجنبية بالعملات الوطنية؛ أو عدم تحريم أنواع من الخمور والمخدرات أو تحريمه دينياً أو قانونياً في مجتمع دون آخر أو في نفس المجتمع في زمن دون غيره من الأزمان، أو تعظيم سلَم القيم الاجتماعية والروحية أو التقليل من شأنها تحت مظلة مبدأ النسبية الاجتماعية المشار إليه سلفاً، هكذا الشأن في قوانين الحروب والثورات والطفرات السياسية والاجتماعية.

المنظور الحضاري الإسلامي

الزمن العولمي والزمن الرمضاني

ومن خلال مبدأ **النسبية الاجتماعية** والحضارية تعرض **"د. بغدادي عبد المنعم في بحث متقدم"** لمفهوم **أسلمة** فكرة الزمن بإطلاق مسمى الزمن **الرمضاني** مقابل الزمن **العولمي** من حيث أن آفاق الزمن العولمي زمن أرضي محدود بقوانين كونية حيث إنها افتراضية وقهرية وجغرافية مختزلة لأن الأرض كلها أصبحت مطروقة مساحياً برياً وبحرياً وجوياً، أصبح الوصول إلى أقصاها أمراً سهلاً.. إنها جغرافيا انتقائية أدواتها المعاصرة التقارير الفضائية عن الأرض عبر تكنولوجيا الصواريخ والأقمار الصناعية،

وقد بدأ مولد هذا الزمن، ولد في لحظة التشويش العظمى حين بدأ العالم يخسر العدل والميزان الخفي للسياسة، وبعد أن سلمته حربان كبيرتان إلى حالة جديدة يبدو أن الكثير من كوامنها حملت بذور أمراض بشرية تفاقمت بشدة قريب النهايات من القرن العشرين وما زالت.

إنه زمن صغير هذا «الزمن العولمي» لم يمس أحلام الإنسان العتيقة جداً والعالية جداً... إنه زمن صغير لا تملؤه إلا تكنولوجيا هي الأشد تطوراً في تاريخ الكرة الأرضية غير أنها تقع في البعد الأحادي المحدود والصغير للزمن العولمي.. ليس زمناً انتشارياً إنه الزمن المرفوض في العالم.

أما الزمن الرمضاني فهو لا يتميز بالشمولية فحسب؛ بل رمزاً إنسانياً ما زال مستمراً منذ ألف وخمسمائة عام، وهو زمن يتجه إلى المستقبل أيضاً، لأن محوره الذي يسير فيه لا ينبع من نقطة وحيدة مستوحشة مقصية في آخر الدنيا.. إن المحور الزمني الرمضاني يندفع من نقاط قد لا تكون نهائية لأنها علوية، ثم هي أرضية تنبثق من الأعلى ومن الأقل علواً.

انبثق الزمن الرمضاني في كل التاريخات العربية المهمة والتاريخات الإسلامية، وربما علم هؤلاء المحيطون جغرافياً بنواة الرمضانيين.. علم هؤلاء ما لهذا الزمن من سحر ومن أثر! علم هؤلاء الذين شكلوا «الآخر» للنهضة العربية الإسلامية أن رمضان هو «الزمن الاستراتيجي» الذي صنعت فيه الانتصارات مثلما صنعت البنى الأساسية العلمية للحضارة العربية.

إن الحضارية المستمرة لـ«الزمن الرمضاني» جعلته يرسم تقاليده ورءاه في زحمة الدهر؛ فمن صفاته الأولى التأسيسية أنه زمن مرتبط بـ«الكتاب» وبـ«الرسالة»

وببدء مرحلة جديدة في زمن عرب الجزيرة العربية الذين لن يبقوا بعد ذلك مجرد قبائل محجوزة في مجاهل الجزيرة الصحراوية.. لقد أعطاهم ثراء رمضان مجد الخروج من سجنهم التاريخي الجاهلي العميق.. خرجوا بـ«القرآن» الكتاب الذي نزل في «الزمن الرمضاني».

خرجت لغة الزمن الرمضاني الأولى من «القرآن الكريم» ثم صاغت لاحقاً مبادئه وتعليماته وتقاليده والتي يلاحظ تطابقها أو تشابهها.. يفرض مصطلح «الصوم» حزماً وهدوءاً وصبراً، ثم كانت مفرداته من الثبات والجلاء بحيث رسخت في الوجدان الفردي والجماعي، وفي الوجدانات العربية الإسلامية وأضحت بوصفها لغة وسلوكاً شأناً واضحاً بالنسبة للعالم الآخر غير الإسلامي.

رسخت لغة الزمن الرمضاني في الوجدان الفردي والجماعي عبر بعدين متداخلين ومتجادلين.. عرفت لغة هذا الزمن كيف تلغي البعد الكمي وكيف تجعل حتى البعد الزمني بعداً نسبياً يكتسب دوماً عطاءات جديدة بفضل الخصوصية؛ فليس الزمان كله سواء، فليلة نزول القرآن الرمضانية هي «خير من ألف شهر» لأن لا عبرة من التكرر الزمني الدائري ذاته، إنما العبرة في تحويل الزمن عن مسار «الاعتيادية» و«التقليدية» إنها «لغة الزمن الخاص» الذي يحاول في كل سنة أن يمنح هذا الخاص إلى «العام»؛ فالنداء اللغوي هذا إلى الجميع «ليلة خير من ألف شهر»: اجعلوها هكذا دوماً.. تنطلق لغته من الخاص النسبي الصعب إلى العام الواسع المطالب في زمنه الرمضاني بالخصوصية وبالحزم وبالصبر.

خارج الآلية وداخل الإنسان هذه هي حقيقة لغة الزمن الرمضاني برغم دوريته الظاهرة، إلا أن تنويعات السلوك داخل الشهر الرمز مؤكدة.

هذه المقارنة الحضارية بين الزمن العولمي والزمن الرمضاني من وجهة نظر إسلامية عرضها "**بغداد عبد المنعم في بحثه ٢٠٠٤** " ليست استنتاجاً تقليدياً؛ بل إنها نوع من الحدس التاريخي الذي يمكن أن يتحسس خصوصيات زمنين مختلفين في العمر والولادة والهدف والمنهج.. أليس من حق الإنسان على هذه الأرض أن يحمل تاريخيته العريقة فينظر في كل الأزمان ويعرف أن ثمة فرقاً شاسعاً بين هويته الخلقية وخلافته النبيلة والمقدسة على الأرض وبين هذه المظاهرات الدخانية الملوثة التي يقدمها الزمن العولمي، يعرف أنه اعتلى من خياري العطش والجوع الرمضانيين مائدة الأرض الحضارية والإنسانية، بينما تساقط الجوعى والشهداء في سبيل أبسط حقوقهم الإنسانية على حدود أرقام القرارات التي تختزلهم جميعاً. **(ن م س)**.

الزمن والمحاور الذهنية والعقدية

إن البعد الزمني ظاهرة كونية يمثّل محيط التفاعل والتنظيم لكافة أنساق العلاقات الاجتماعية. وإذا حاولنا الكشف عن ذلك من خلال التوصيف والتحليل الاجتماعي للمحاور الأساسية للوجود الاجتماعي كما هو كائن لاطّلعنا على زمن حاضر أو معاصر له ماض قد يكشف على توقعات مستقبلية على هدى ما يجب أن يكون.

فإذا بدأنا بالمحور الذهني العقدي والقيمي لوجدنا أن النظم الاجتماعية السائدة تفرض على عصرها أو عهدها اسماً معيناً مثل عصر الجاهلية والأقنان أو العبيد أو الإقطاع أو البخار أو الكهرباء أو عصر النهضة الرأسمالي أو الاشتراكي أو الحداثة وما بعد الحداثة المفعم بتكنولوجيا الصناعة والمعلومات الرقمية والحاسبات

الإلكترونية وعلوم وفنون الفضائيات.

وقد تطلق مسميات على محاور ذهنية أو عقدية كعصور الأساطير في ما قبل التاريخ والمجتمعات البدائية البسيطة ثم عهود بأسماء الأنبياء والمرسلين للديانات السماوية كاليهودية والمسيحية والإسلام على نطاق أممي وعالمي؛ أما المصلحون كالبوذية والزرادشتية في نطاق التوجهات الأخلاقية؛ فتطلق مثل هذه المسميات في مجتمعات إقليمية مثل الهند وجنوب شرق آسيا وغربها.

وفى عهود الأنبياء والمرسلين يلعب الزمن دوراً مع الأجيال في كل عهد خاصة بين ذوي العزم من الرسل والمتحالفين مع الزمن بالحساب الإلهي لا بالترقيم البشرى؛ فنوح عليه السلام صبر على أهله ألف سنة إلا خمسين عاماً، وإبراهيم الذي كان **أمَة** حسب التعبير القرآني استمر في التواصل برسالة التوحيد عدة أجيال، ويوسف بن يعقوب عليهما السلام الذي تبوأ عرش مصر بعد صراع في زمن طفولته وشبابه الذي ابتلى فيه بكيد النساء والإيداع في السجن لبضع سنين؛ وموسى الذي انتصر على آل فرعون بمعجزات ربه فكان بينه وبين إلقاء أمه في اليمِ وهلاك فرعون غرقاً أكثر من جيلين من بين عديد من السنوات ذاق فيها قوم موسى سوء العذاب بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، وكذلك معجزات المسيح عيسى بن مريم التي اختزل فيها الزمن بسرعة إشفاء الأمراض المستعصية وتقليب دورة الموت والحياة للبرهان على معجزاته والخروج الصارخ على سنن وقوانين الزمن؛ ويضاف إلى ما سبق معجزة نزول القرآن الكريم على مدى جيلين وما احتواه من مؤشرات الاختزال الزمني والمكاني بل الكوني في معجزتي الإسراء والمعراج.

لم يوجد أي تجمع بشرى من المجتمعات في أي زمن إلا وله **خلفية ذهنية**

مكونة من قيم وتقاليد وعادات وأعراف في "مكان وزمن" محددين يسترشد بها في تصريف أمور الحياة بدءاً من الميلاد إلى الموت. يقودنا ذلك إلى معالجة وظيفة **الزمن في المجال الديموجرافي (السكاني) (صلاح عبد المتعال مقدمات في علم الاجتماع ٢٠١٥).**

الزمن والعلاقات الأسرية

ويفرض هذا المجال نفسه (بقدرة الله سبحانه) على العوامل الحيوية والاجتماعية لنشأة وتكوين المجتمع؛ إذ إن كل حدث له علاقة بالنمو السكاني طبقاً لمعدلات المواليد والوفيات والحراك الديموجرافي بالهجرة الداخلية والخارجية؛ له مضمون اجتماعي من التقاليد والأعراف والقانون، ونتائج اقتصادية وعمرانية.

وعلى سبيل المثال، نتأمل طقوس فرحة ميلاد الطفل خاصة لو كان ذكراً، وما يتبع ذلك من بهجة السبوع[١]، فضلاً عن المناسبات الدورية لأعياد الميلاد، وارتباط نوعية الهدايا بالوضع **الطبقي**، وفى مقابل مناسبات الميلاد التي تتسبب في مضاعفة البرميل السكاني الذي قد يصل إلى حد الانفجار؛ فيكون عند بعض الشعوب نقمة بدلاً من أن يكون نعمة. قد يصدمنا تمسك البعض إلى درجة التحجر الفكري عند الوفاة باستمرار إجراء طقوس العزاء التقليدية خاصة في المناطق الريفية بعمل سرادقات عزاء لمدد تتعدى اليوم الواحد أو الثلاثة أيام، ومثل هذه التقاليد الشعبية قد تمتد أصولها التاريخية مثل جناز الأربعين الذي يمارسه المسلمون والمسيحيون في مصر وبعض البلاد العربية، وهو مستمر منذ قدماء المصريين رغم زوال السبب الرئيسي الذي نشأ له منذ قدم التاريخ.

---

(١) احتفال يقام في مصر بمناسبة مرور أسبوع على مولد الطفل، يدعى إليه الأقارب والأحباب وله طقوس خاصة.

وتختلف متغيرات الزمن في تأثيرها الجزئي على الأفراد عنه على المستوى الكلى الشامل Holistic في المجتمعات المحلية أو القومية والمجتمع الإنساني بصفة عامة. لقد بلغ سكان العالم في مطلع القرن التاسع عشر نحو ألف مليون نسمة، يتضاعف خلال ١٣٠ سنة أي في نهاية الثلث الأول للقرن العشرين، ثم يزداد خلال ٣٠ سنة فقط، ثم الألف الرابعة خلال١٥ سنة أي أربعة آلاف مليون نسمة حتى سنة ١٩٧٦، ثم ازداد نحو نصف مليار خلال خمس سنوات فيصل إلى ٤,٦٧٧ مليون نسمة سنة ١٩٨١، وإلى ٦١٣٠ مليون عام ٢٠٠٠، ثم يتوقع الزيادة إلى ٧٨١٠ مليون نسمة سنة ٢٠٢٠. وقد ترتب على تضخم الحجم السكاني في هذه الفترات الزمنية توازياً حدوث طفرات مماثلة لعمليات التحضر وتركز السكان في المدن للزيادة الطبيعة لمعدل المواليد والوفيات وللزيادة العشوائية للحراك الجغرافي الاجتماعي لأسباب الهجرات الداخلية من الريف إلى الحضر، والأخرى الخارجية موسمية كانت أو دائمة، وثمة تغيرات اجتماعية وأخرى في مجالات الصناعة والتكنولوجيا وإنتاج الطاقة واستهلاكها والنتائج الناجمة عن ذلك كله على مضمون الحياة الأسرية في شأنها المادي والمعنوي أو القيمي والأخلاقي.

الزمن والتاريخ

والتاريخ (الماضي المسجل شفاهة وكتابة) ضلع من أضلاع الزمن ومن ثمَ كان المنهج التاريخي في بحوث العلوم الإنسانية محورا أساسيا للمعرفة. "وقصة الإنسان في الكون، وسيرته في هذا العالم، ورحلته عبر الزمان، كما أفاد **(قاسم عبده قاسم)** بأن الحضارة تجسيد لهذا كله على المستوى المادي واللا مادي عبر القرون. وإذا كان مؤرخو الحضارات يجمعون على أن جميع حضارات الإنسان، منذ البداية حتى

الآن، قد أخذت عن الحضارات التي سبقتها- باستثناء الحضارات الأولى التي حددها البعض مثل أرنولد توينبي بعدد معين في وديان الأنهار في مصر والعراق والصين والهند- فإن معنى هذا في التحليل الأخير أن تاريخ الحضارة **وأزمانه** متصل الحلقات متواصل المراحل شأنه في ذلك شأن تاريخ الإنسان صانع الحضارة أيضاً. وإذا كان الإنسان هو صانع التاريخ فهو أيضًا صنيعة هذا التاريخ، بمعنى أنه يصنع تاريخه حقًا؛ ولكنه يتشكل بفعل هذا التاريخ أيضاً. ومن ناحية أخرى، فإن الإنسان صانع الحضارة ونتاجها في الوقت نفسه. ومن ثم، فإن التاريخ يحمل مفهومًا حضاريًا، كما أن الحضارة تحمل مفهوما تاريخيًا وزمنياً؛ فالحضارة بناء تاريخي متراكم فيما يشبه الطبقات الجيولوچية، ويحمل بصمات وآثار التفاعل والتواصل المستمر بين الحضارات الإنسانية الأخرى؛ بغض النظر عن عبثيات «نهاية التاريخ» و«صدام الحضارات والعولمة».

وعلى أساس قاعدة **النسبية الاجتماعية** نجد أن تاريخ البشرية واحد؛ "ولكن تجليات هذا التاريخ مختلفة متباينة من **زمن إلى زمن آخر** ومن مكان إلى مكان مختلف، ومن أمة إلى أمة غيرها، والحضارة الإنسانية واحدة ولكن تجلياتها مختلفة أيضا. وآية ذلك أنك لن تجد أمة لها تاريخ منعزل تمامًا عن تاريخ الأمم الأخرى، ولن تجد حضارة لم تأخذ عن حضارة سابقة، أو معاصرة، أو مجاورة. صحيح أن لكل أمة تاريخًا خاصًا بها ويحمل بصمات هويتها الحضارية، وصحيح أيضا أن لكل أمة حضارة شادتها عبر تاريخها؛ بيد أنها جميعا تبدو مثل روافد تصب في مجرى نهر واحد هو التاريخ الإنساني والحضارة الإنسانية "**قاسم (م.س.ذ)**".

الزمن والتغير الديموجرافي (السكاني)

وإذا قلنا أن التاريخ كزمن مضى فإن حركته هي التي تمتد به من الحاضر إلى المستقبل، وتعنى الحركة عمليات التغير الاجتماعي بما في ذلك من التغيُّر التلقائي والتغيير القصدي الهادف؛ فإن كبرى ظواهره هي أشكال التغيُّر السكاني بدءاً من البعد الحيوي لمعدلات المواليد والوفيات إلى الحراك الجغرافي أو المكاني **أفقياً** بحركات الهجرة الداخلية والخارجية، **ورأسياً** بالتدرج في الُسلَم الطبقي. إن الزمن يلعب أدواراً متعددة في النمو السكاني الطبيعي، كما ذكرنا سلفاً، ويلعب أدواراً أخرى في حركات الهجرة المكانية، يشهد التاريخ هجرات الأجيال السحيقة من أطراف القارات إلى قارات أخرى كالهجرة من شمال آسيا إلى الأطراف الشمالية للأمريكتين، أو كالهجرة من أواسط وغرب أوروبا إلى أمريكا الشمالية لأسباب اقتصادية ودينية طائفية، أو كالهجرة من صحراوات آسيا الغربية إلى وديان النيل والفرات، وكانت جحافل الغزاة سبباً في تغير أحجام الخريطة السكانية خاصة في البلاد ذات الوفرة الاقتصادية.

مضمون المضمون في الزمن والمتغيرات الاجتماعية

بمعنى أن الارتباط بين الزمن والمتغيرات المستقلة Independent كالاقتصاد والسياسة والتكنولوجيا يجعل الزمن دائرة محيط حول هذه المتغيرات يتشابك فيها عوامل مضمون **الزمن الرئيسي** مع مضامين العوامل التابعة Dependent كالمنظومات الثقافية التربوية والقيمية ومكونات الضبط الاجتماعي كالعرف والعادات والتقاليد والرأي العام ووسائل الاتصال الإعلامي التي لدى كل منها مضمون خاص بها؛ وعلى سبيل المثال يلعب الزمن أدواراً متعددة في تغيير الدوافع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لعمليات الهجرة الموسمية أو الدائمة، كما نلاحظه بالنسبة لسلعة النفط وبواعث الكشف عنه في تغيير الملامح السكانية لأقطار إنتاجه ومجالات الحراك

السكاني من دول **الندرة** إلى أقاليم **الوفرة** الاقتصادية، وما ترتب على ذلك في تغيير السلَم القيمي في نوعيات وأساليب الحياة الاجتماعية، خاصة للعمالة العربية وأسرهم ودولهم. **(صلاح عبد المتعال. أثر تدفق الثروة النفطية على القيم الاجتماعية، الأمم المتحدة، طوكيو: اليونسكو التدرج الهرمي في سلم القيم، المركز الإقليمي العربي، ١٩٨٢).**

ولقد أثر هذا النمط الإنتاجي للتعدين في مضمون الزمن ذاته وأثره على النزاع النفطي بين قوى الاستعمار الغربي والرأسمالية المتوحشة وإطلاق الأسباب المصطنعة لشن الحروب على بعض الدول المنتجة للنفط كما حدث للنزاع الإيراني العراقي والأمريكي العراقي، والإسرائيلي العربي. لعب الزمن دوراً هاماً في بدء النزاع ونهايته المؤقتة أو الدائمة. كما كان الزمن المتحكم في إيقاع المعارك الحربية فى٥ يونيو١٩٦٧ وفى ٦ أكتوبر١٩٧٣ خاصة عند ضربات البداية دفاعاً أو عدواناً؛ بل أكثر من الزمن الزائد عن القرن في الحركة الصهيونية العالمية والتخطيط الزمني لإقامة وإعلان دولة العدوان والاستيطان الإسرائيلي؛ وأزمان النزاع في الحرب العالمية الأولى والثانية.

وغير ذلك في ما تلي من حروب إقليمية ومحلية وثورات مشهودة غيَرت بوصلة الزمن والتاريخ.

قد تختلف أزمان مثل هذه النزاعات والحروب في كمَها وقدرها بالسنين والأيام؛ إلا أنها قد تتفق في المضمون الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لوطأة تغييرها وأثرها على مقومات وقيم الحياة وأنماط السلوك ونوعيات الحياة بالنسبة لأطراف النزاع العدواني والدفاعي أو الغالب والمغلوب، أو موازنات الدخل القومي وما يحيط بهم من دول

وشعوب في الدورات الاقتصادية Business Cycle وغير ذلك من آثار في شتى المجالات الاجتماعية بمعناها الواسع.

ومن ثم تفرض المنظومة السياسية نفسها بعلاقاتها الداخلية والخارجية على الزمن الاجتماعي في سلمها وصراعها بين السلطة والمجتمع وبين القوى الدولية سواء على المصالح الداخلية الفئوية والطبقية؛ أو على المصالح الاقتصادية ومناطق النفوذ بين الدول.

وهكذا نرى الارتباط الموجب بين العلاقات الاقتصادية والسياسية؛ فكلا المجالين على متصل Continuum واحد في المساندة الوظيفية لتحقيق أهداف اجتماعية واقتصادية؛ بل أكثر من ذلك محاولة نصرة الغايات الأيديولوجية أو المذهبية لكل دولة.

وثمة العديد من الأمثلة في الصراع الطبقي داخل المجتمع الذي تمخضت عنه ثورات كما حدث في الاتحاد السوفيتي والصين وكوبا وغيرها من دول أميركا الجنوبية وبعض الدول العربية التي اختصت بالصراع العربي الإسرائيلي. كل ذلك أو الغالب منه يفرز العديد من المشكلات في توازن القوى، وفى العديد من الآثار الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والديموجرافية والقيمية والأخلاقية، سواء في الدولة الواحدة أو الأقاليم المتاخمة لبؤر الصراع في عمليات نزوح المتضررين في هجرات مشروعة وغير مشروعة التي تفصح عنها موجات النزوح من المجتمعات العربية إلى الأخرى الأوربية حرصاً على مجرد البقاء أو للبحث عن فرص عمل نتيجة لوطأة البطالة التي يعانى منها فصائل من النازحين أو المهاجرين؛ هذا فضلاً عن التهجير القسري الذي يعانى منه مئات الآلاف من المستضعفين. ومن أكثر الأمثلة ضراوة ما يحدث من دول متصارعة في أواسط وغرب

أفريقيا؛ وعلى رأس كل ذلك الآثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للتهجير القسري الذي أصيب منه مرارا وتكرارا أهل فلسطين في أزمان النكبة على ما يقرب من قرن من الزمان.

الزمن والمنظومة المعرفية والتِقنيَة

والزمن منذ عمق السنوات التاريخية القديمة إلى عصوره الحديثة هو **سلَم المعرفة** بأنواعها المختلفة، الشيئية (المادية) والإنسانية (الروحية والأخلاقية والدينية والفلسفية)، وهذه المعارف جميعها التي تفرعت عبر توالى العصور والأزمان من الفلسفة الأم إلى التخصصات العلمية في ضوء تقسيم العمل الاجتماعي "Durkheim **دوركايم**"، وقد نشأت أغلب العلوم الطبيعية والإنسانية وتحديات الواقع المادي واللا مادي. هذه النشأة لعب الزمن دوراً في تطورها من البسيط إلى المركَب؛ من إشراقات فكرية من أقطاب الفكر والآباء العلميين. إن الإشراقة الفكرية قد تكون من خاطر فكرى ورد كلمح البصر من نقطة الزمن الصفري - إن جاز التعبير- ولكن يسبقها خواطر وافتراضات نظرية يحققها العالم على محك المنهج التجريبي الذي يلازمه في علم التطبيق العملي؛ أي بمعنى توظيف المعرفة للوفاء للاحتياجات الأساسية والكماليات أو التحسينات؛ فيتقدم العلم قدماً مع توالى الأزمان والعصور. وهذا التوظيف لكافة المعارف الطبيعية والإنسانية هو في حد ذاته مفهوم **التكنولوجيا** وما تمخض عنها من اختزال للزمن في القدرات الاستعمالية.

لقد فرض التقدم التقني نفسه كقوة رئيسة لإحداث سرعة التغيير في شتى أمور الحياة منذ عصر البخار؛ إذ كانت سرعة أول قاطرة بخارية لم تبلغ ١٣ ميلاً في الساعة سنة ١٨٢٥، بينما بلغته النفاثة الصاروخية إلى نحو ٤٠٠٠ ميلاً والكبسولة الفضائية إلى ١٨ ميلاً في الساعة. إن تأثير التكنولوجيا على العالم لا تقتصر فقط على مرحلتي الاختراعات والتطبيق العملي؛ بل قدرتها على انتشار استخدامها الاجتماعي على الثلاثين سنة، بينما

اختزل زمن انتشارها إلى نحو ثماني سنوات، بالنسبة للتليفزيون، ومن ثم فإن المدى الزمني بين نهاية مرحلتي الابتكار التطبيق أي الاستخدام الاجتماعي، يتناسب عكسياً مع التقدم التكنولوجي. ويجدر بنا أن ننوه إلى دور الحاسبات الرقمية الآلية كان زمنها هو المحرك الرئيسي لسرعة التغيير والتقدم في مضمار المعارف الإنسانية التي يبدعها الإنسان لاختزال الزمن من أجل بناء حضارته.

إن الإنسان بقدراته التقنية قد تفاعل مع البيئة المكانية من المنظور الأيكولوجي محاولاً السيطرة بأن يعطى للبيئة أو يأخذ منها، كذلك محاولته التحكم في **البعد الزماني** بأن يختزل البعدين بالإبداعات والابتكارات ومهارات الاختراع فيبتكر الساقية والشادوف في استزراع الأرض والعجلة والعربة في أدوات الحروب القديمة التي تغيرت فيها قوى الرمي بالقوس والسهم إلى استخدام المدافع وقصف الطيران بقنابله وصواريخه المدمرة. كان **الزمن** وما زال أحد أطراف المعادلة في موازين القوى بين الدول؛ حيث إن زمن السرعة في الرمي أو القصف يمهد لفرض سيادة الدول المتقدمة، علمياً وفنياً، على الأخرى الأقل تقدماً في براءات الاختراعات التي تطوى الزمن بسرعات تفوق الوصف، خاصة في العصر النووي الذي أضاف بأن السرعة في زمن الإنجاز التقني لم يقتصر فقط على الحروب بل في عهود السلام؛ كقدرة السلع المعمرة في سرعة إعداد الطعام وسرعة المنتجات الصناعية في المهن الحرفية؛ مما يؤدي إلى توفير الجهد في العمالة ومضاعفة الإنتاج ومعدلات النمو بزيادة نصيب المواطن من الناتج والدخل القومي؛ ومن ثم يوضح ما سبق عليه القول اتساع مساحة وقت الفراغ والاستمتاع بمنافع الترويح العشوائي أو الموجه.

الزمن والأبعاد الاقتصادية والسياسية والأسرية

الزمن والعلاقات الأسرية والديموجرافية

وتشارك في التأثير بقوة المتغيرات الاقتصادية والتكنولوجية بمضمونها في سرعة الزمن في تغيرات سلبية وإيجابية في نطاق النمو والتنمية؛ قد تكون بشكل عشوائي في النمو الاقتصادي أو بشكل مخطط في التنمية، وتظهر مؤشرات ذلك مباشرة في هيكل البناء الأسرى والحراك السكاني بزيادة في موجات الهجرة الداخلية والخارجية، وقد ينتج عن الهجرة الداخلية العشوائية غير المخططة تشوهات في المناطق الحضرية، وضمور في قوة العمالة الزراعية بحيث تفقد التوازن في عملية التغير البنائي والوظيفي، وقد يترتب على ذلك خلل زمني بين سرعة حركة التغير المادي أو الشيئي والتغير المعنوي في شئون التربية والدين والأخلاق والتقاليد والعرف والعادات؛ مما قد يؤدى إلى درجات متفاوتة للتخلف الاجتماعي كما ذكرنا آنفاً.

ويمكن أن نزيد على ما سبق فيما ذكر عن الزمن في القرآن الكريم وأحكامه التي تضبط العلاقات الاجتماعية، ما ورد عن إيقاع الزمن في مناسك الحج الفريضة الخامسة للالتزام بشروط الإسلام والإيمان (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) (سورة البقرة: ١٨٩)، وفى آيات للدفع والقتال مسارات.. الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات **قصاص** (وهذا في مضمون العلاقات الاجتماعية للزمن وتفعيل العرف والقانون)؛ وكذلك ثمة مناسك في أداء الحج يحكمه الزمن كإتمام الحج والعمرة وعن صيام الثلاثة أيام في الحج وسبعة أخرى بعد العودة من الحج لمن لا يستطيع حلق رأسه حتى يبلغ الهدى محله (لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي المَسْجِدِ الحَرَامِ) (سورة البقرة: ١٩٦)؛ وفى الذكر الحكيم أيضاً (الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ) (سورة البقرة: ١٩٧) تحرَم فيه المباشرة أو العلاقات الحميمة بين الجنسين

(فلا رفث) كما يحرم الجدل لمؤدي المناسك أثناء فترة الحج، وقد تقتصر أداء المناسك إلى يومين للمتعجلين للعودة فلا إثم عليهم، ويقحم الزمن أنفه في تفاصيل الحياة الاجتماعية الزواجية والأسرية وذلك في أحكام الفراق بين الزوجين إن استحالت المعيشة والمعاشرة بينهما (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ) (سورة البقرة: ٢٢٦) (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ) (سورة البقرة: ٢٢٨) وعدم كتمان ما خلق في أرحامهن عند إتمام الطلاق؛ والحق في الرَد مرة أخرى لعش الزوجية والطلاق مرتان مع الأخذ في الاعتبار المعاملة بالمعروف أو التسريح بإحسان، والحكم والجزاء بعدم العودة إلا بزواج زوجة المطلق لثلاث مرات من شخص آخر (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلاقَ فَإِنَّ اللهَّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُّ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهَّ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهَّ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهَّ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهَّ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهَّ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (سورة البقرة: ٢٢٦-٢٣٠). وتتابع الآيات المحكمات في آثار حق الزوجة للخلع (فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا

فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِّ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِّ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (سورة البقرة:٢٣٠) والتوصية بالإمساك بالمعروف والتسريح بإحسان، كما ذكر سابقاً، وأحكام إرضاع الطفل وفطامه في عامين وحق التشاور بين الوالدين على ذلك، وحكم الزوجة الأرمل إثر وفاة زوجها بالتربص بنفسها أربعة أشهر وعشراً (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَّ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْروفِ وَاللهُّ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللهُّ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا وَلاَ تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ غَفُورٌ حَلِيمٌ * لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سورة البقرة: ٢٣٣ -٢٣٧)، وفى طيِ ذلك أيضاً من أحكام عن خطبة النساء والعزم بعقدة النكاح حتى بلوغ الكتاب أجله وحقوق المتأخرات من المهور

قبل وبعد الطلاق. والجدير بالذكر من غير تكرار أو ملل أن البعد الزمني له أضلاع واضحة المعالم في مساحات العلاقة الزوجية والأسرية من بدايتها إلى نهايتها نسبياً.

إن المنظور الإسلامي الحضاري معينه لا ينضب؛ فالعلاقة مثلثية [بين الإنسان والكون(التراب) والزمن]، وأن مضمون الزمن فيها هو وعى الإنسان ذاته وإدراك قيمته بأنه ليس على هامش الكون؛ فهو ركن من أركان أو زاوية من زوايا العلاقة المثلثية المشار إليها، فألقى الله سبحانه على كاهله أي (الإنسان) -في إطار الأزمان وأبعاد المكان- مسئولية الاستخلاف (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً) (سورة الأحزاب: ٧٢) لقد تم استخلافه وتكليفه" على توجيه وتغيير مسارات أنساق المنظومات الذهنية والعقدية، والأيكولوجية (البيئية)، والديموجرافية (السكانية)، والثقافية والمعرفية وتوظيفاتها التقنية "وعلمناه صنعة لبوس ليحصنكم من بأسكم"، هذا فضلاً عن العلاقات الاقتصادية والسياسية والأسرية.. وغيرها من منظومات مستحدثة في ضوابط الإعلام والرأي العام والأخلاق العامة والمهنية والإتقان في العمل، كما ورد في آيات من القرآن عن حسن الجزاء الدنيوي والأخروي (إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) (سورة الكهف: ٣٠)، وفى الحديث القدسي عن الإحسان: " أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ "، "... وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ...." وكل ما ورد من تفاصيل سابقة عن معالم التغيير الكبرى في المجتمع ومسئولياته يلخصها قسم الله سبحان بالزمن (العصر): (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (سورة العصر: ١-٣) وفى هذا المعنى كما فسَرها الراحل د. فريد عبد الخالق المستشار التربوي والقانوني؛ أن كمال الإيمان لا يتحقق إلا بالتصديق عليه بالعمل الصالح المتقن، وأن التواصي بالحق والصبر هو التكليف ذاته للحض على إرادة التغيير كفريضة واجبة يتضمنها التكليف والمسئولية بحمل الأمانة عبر المكان والزمان، وبحسبها يتحدد مؤشر التخلف في درجات ورتب الدول والمجتمعات في سلَم الحضارة والتقدم، فضلاً عن ارتباطها الإيجابي بانخفاض مستوياتها في النمو والدخل القومي وتفجُر الجريمة والانحراف وهبوط القيم الأخلاقية وإهدار الوقت الاستثماري لزمن الفراغ والدخول في حلقة مفرغة من **الضياع** الاجتماعي Anomie الذي تختلط فيه قيم الحق بالباطل والمنطقي بغير المنطقي، ويسقط المجتمع والدولة في تيه من القلق وعدم الاستقرار واحتدام الصراع الطبقي والطائفي الذي يشاهد في الزمن الراهن في أزمات الساحات الإقليمية والدولية، وكذلك انفجار موجات الهجرة والشتات إلى الدول الأوروبية والأمريكية وبعض الدول النفطية في البلاد العربية.

وقد يظل النظام السياسي قائماً رغم تغير الأفراد الحاكمين أو الحكومات شأن النظام الديمقراطي الذي تتبدل فيه الحكومات حسب إرادة المحكومين بالانتخاب الحر، وهذا هو التغيير التقليدي المتعارف عليه في النظام الديمقراطي؛ إنما قد يحدث التغيير السياسي بالقوة كما يحدث من خلال انقلابات أو ثورات شعبية تطيح بالحكم القائم وتبدله بنموذج حكم جديد قد يحقق أهدافاً مغايرة لأهداف النظام السياسي السابق. والنظام السياسي قد يتغير في المجتمع الواحد على مدى العهود والأزمان؛ ولكن يستخلص الاستقراء التاريخي تعدد الأنظمة السياسية وتنوّعها في مجتمعات العالم قاطبة، وهكذا تدخل **المتغيرات**

السياسية في نسيج الحياة الاجتماعية بكل أشكالها بما فيها من **زمن** الأحداث ماضيها وحاضرها وتوقعاتها المستقبلية؛ إذ كل مجتمع (بسيطاً وتقليدياً وحديثاً ومعاصراً يحاول الاتفاق أو تقرير القواعد لطريقة حكم أفراده أو جماعته أو شعبه، إذ إن سياسة وإدارة أمور المجتمع في مختلف أوجه نشاطه لا يمكن أن تتم بطريقة عشوائية؛ فالمجتمعات البدائية أو التقليدية لا تستغني رغم بساطة تركيبها على ضرورة تنظيم علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وعلاقة مجتمعهم أو دولتهم بالدول الأخرى؛ إلا أن هذا التنظيم يأخذ صورة هيئة حاكمة أو حكومة متخصصة، كما هو الشأن في المجتمعات الحديثة؛ فقد كانت الحياة الاجتماعية تسير بصورة تلقائية قائمة أساساً على الفطرة ويحكم أطرافها العادات العامة والتقاليد السائدة بقصد تحقيق التنظيم والاستقرار الاجتماعي، وكان تسييس أو إدارة الأمور تعود غالباً إلى كبار السن والشيوخ، كما كان يلعب العرف والرأي العام في الجماعة دوراً رئيساً في تنظيم هذه الجماعات أو المجتمعات الصغيرة المحلية، وكانت القبيلة تواجه أي مظهر من مظاهر الاختلال، باعتبار أن الوظيفة السياسية وحكم أفراد القبيلة يدخل في وظائفها أو اختصاصاتها الواسعة؛ إلا أن تطور المجتمعات إلى أنماط أكثر رقياً أدى إلى انتزاع الوظيفة السياسية منها وتم إسنادها إلى هيئات متخصصة لحماية الأفراد وتنفيذ القواعد العامة المتفق عليها في مختلف أوجه الحياة الاجتماعية، وقد استحوذت هذه الهيئات سلطة إدارة أمور المجتمع من خلال العمل السياسي رغم بساطة تركيبها على ضرورة تنظيم علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وعلاقة مجتمعهم أو دولتهم بالدول الأخرى؛ إلا أن هذا التنظيم يأخذ صورة هيئة حاكمة أو حكومة متخصصة، كما هو الشأن في المجتمعات الحديثة؛ فقد كانت الحياة الاجتماعية تسير بصورة تلقائية قائمة أساساً على الفطرة ويحكم أطرافها العادات العامة والتقاليد السائدة بقصد تحقيق التنظيم والاستقرار الاجتماعي. وكان

تسييس أو إدارة الأمور تعود غالباً إلى كبار السن والشيوخ.

كما كان يلعب **العرف والرأي العام** في الجماعة دوراً رئيسا في تنظيم هذه الجماعات أو المجتمعات الصغيرة المحلية، وكانت القبيلة تواجه أي مظهر من مظاهر الاختلال، باعتبار أن الوظيفة السياسية وحكم أفراد القبيلة يدخل في وظائفها أو اختصاصاتها الواسعة؛ إلا أن تطور المجتمعات إلى أنماط أكثر رقياً أدى إلى انتزاع الوظيفة السياسية منها، وتم إسنادها إلى هيئات متخصصة لحماية الأفراد وتنفيذ القواعد العامة المتفق عليها في مختلف أوجه الحياة الاجتماعية، وقد استحوذت هذه الهيئات سلطة إدارة أمور المجتمع من خلال العمل السياسي. ومهما اختلفت أنماط المجتمعات في بنائها ووظائفها الاجتماعية فإن البعد الزمني يدخل بين ثنايا أنشطتها؛ بدءاً من إسناد المسئوليات ومنح الحقوق طبقا لفئات الأعمار من الطفولة إلى الشيخوخة وأرذل العمر.

والعمل السياسي ليس له حكومة متخصصة في المجتمعات البسيطة أو التقليدية على عكس ما هو كائن في المجتمعات الحديثة؛ إذ يتبلور هذا التخصص في الدولة وحكوماتها التي تضع على كاهلها أضخم الوظائف، وهى توفير الأمن الداخلي والدفاع وتأمين الدولة ضد الأخطار الخارجية واستثمار الموارد الطبيعية ورأس المال البشرى من أجل الصالح العام وتنمية المجتمع؛ فالسلطة السياسية أو بناء القوة يتدخل فيه **الزمن** لتداولها مهما تنوعت النظم السياسية (ديمقراطياً أو أتوقراطياً فردية كانت أم شمولية)؛ جمهورية كانت أو ملكية في المجتمعات المعاصرة أو قبلياً في الأخرى التقليدية التي يشيع فيها النظام القبلي ويغلب عليها هيمنة السلطة الأبوية.

ويفترض في المنظومات السياسي مساندتها للنظم الأخرى، للوفاء

بالاحتياجات الاقتصادية على سبيل المثال لا الحصر، والحفاظ على الأمن والاستقرار، وكثيرا ما يصيبها الفشل أو عدم التوفيق؛ لذلك أفرزت العبقريات الشعبية مع مرور الأزمان منظومات المجتمع المدني كالمؤسسات والجمعيات المدنية التي قامت بأدوار تكميلية للمؤسسات الرسمية، ويكفي القول في ما يخص نظام **الوقف الإسلامي** ونظائره في المجتمعات الأخرى من قيامه بحمل مركبات الثقافة والحضارة ومختلف طبقات التراث على مختلف مراحله، ولا تبدو أهمية النظام السياسي ووظيفته إلا بالتصديق عليه بالعمل الصالح المتقن، وأن التواصي بالحق والصبر هو التكليف ذاته للحض على إرادة التغيير كفريضة واجبة يتضمنها التكليف والمسئولية بحمل الأمانة عبر المكان والزمان.

أثر الزمن والعمل في العلاقات الإنتاجية والسياسية

ويلعب الزمن أدواراً واضحة للعيان في منظومات العلاقات الاقتصادية والسياسية فضلا عن العلاقات **الأسرية**؛ ففي الشئون الاقتصادية نجد أن العلاقات الإنتاجية من أهم مقوماتها **العمل**؛ فهو على رأس الفكر الاشتراكي بينما يكون رأس المال على قمة العملية الإنتاجية في الفكر الرأسمالي الحر، واستثماره من قبل الأفراد والمؤسسات من خلال البنوك والمصارف والأسواق المالية والتي تحكمها ظروف الزمن في شئون الائتمان والاقتراض والوفاء بالأرباح والفوائد والتفليس.

وتشير الدراسات الحديثة المعاصرة إلى دور الزمن لسرعة أو بطء الإنجاز في العملية الإنتاجية وذلك طبقاً لنوعية النظام الإداري بيروقراطياً كان أم ديموقراطياً؛ فكل التنظيمات الحديثة بدرجة ما، بيروقراطية في طبيعتها حيث تتضمن سلطة هرميه واضحة. قواعد (لوائح تنظيمية أو مكتوبة تحكم سلوك العاملين الذي يعملون بأجر كامل). وتتميز

بالفصل الكامل بين الأداء الرسمي داخل المؤسسة والحياة خارجها، ولا يملك أعضاء المنظمة (المؤسسة) المصادر البنية الأساسية المادية التي يعملون فيها؛ فالزمن يحملهم ولا يحملونه، فهم ملتزمون من قبل الإدارة العليا بكل حدود الوقت؛ فلا محل إعراب في ترتيبات وأوليات الإنتاج بالمشاركة العمالية خاصة بالنسبة لصنع القرار؛ فالزمن وأحكامه تسيطر عليه وتوجهه التعليمات الهابطة من قمة الهيكل الإداري، وذلك في النظام البيروقراطي؛ بينما تشارك جهة عمليات طويلة المدى لمركزية اتخاذ القرارات التي ترتبط بتطور المجتمعات الحديثة؛ ومن جهة أخرى فإن أهم الملامح الرئيسية في القرنين الماضيين هو تنامي الاتجاه نحو الديمقراطية. العمالة في النشاط الإنتاجي كما وكيفا في صنع القرار في المنظومة الديمقراطية، كما هو جارى الآن في النموذج **الياباني الذي** وجد صدى في كبرى الدول المتقدمة **"انظر عبد المتعال (مقدمات في علم الاجتماع)"**.

وقد حددت أعمال **(فيبر وميشيل)** التوتر القائم (الأزمة) بين البيروقراطية والديمقراطية؛ فهي من جهة وأخرى يفرض البعد الزمني تنظيم الوقت في العمل اليومي منذ بدايته إلى نهايته، وإدارته أيضا على مدى الأسبوع والشهر والسنة؛ إذ لا تستغني إدارة المشروعات الإنتاجية عن تحديد الجدول الزمني في دراسات الجدوى وتنفيذها. ولا يفوتنا قواعد التأمينات على زمن البقاء بالتأمين أو المراهنة "بالوصف الصريح "على حياة الأفراد.

إن الوصلات العصبية بين الزمن والعلاقات الإنتاجية تمتد بالضرورة إلى الاحتياجات الاستهلاكية وطريق سداد فواتير دفع أثمان السلع، خاصة السلع المعمرة المنزلية وغيرها من وسائل النقل كالسيارات الخاصة والأخرى كالأتوبيسات الصغيرة أو الكبيرة.

إن **العمالة** في مضمونها الإنتاجي تنفذ إليها قيم الزمن وأبعاده ومعانيه، فهو محور تدور في أفلاكه مضامين قيم الحياة الاجتماعية بمفهومها الواسع، وتتضح هذه الإفادة إذا تصورنا تجريد الحياة الاجتماعية في أغلب أطرافها من عنصر العمل، الذي يعتبر حقاً إنسانياً تمتد آثاره إلى تضخم مشكلة البطالة التي تعتبر وصمة اجتماعية في جبين رب الأسرة.

يحاول كل مجتمع الاتفاق أو تقرير قواعد لطريقة حكم أفراده أو جماعته أو شعبه، إذ إن سياسة وإدارة أمور المجتمع في مختلف أوجه نشاطه لا يمكن أن تتم بطريقة عشوائية؛ فالمجتمعات البدائية أو التقليدية لا تستغني رغم بساطة تركيبها عن ضرورة تنظيم علاقة الأفراد بعضهم ببعض، وعلاقة مجتمعهم أو دولتهم بالدول الأخرى؛ إلا أن هذا التنظيم يأخذ صورة هيئة حاكمة أو حكومة متخصصة، كما هو الشأن في المجتمعات الحديثة؛ فقد كانت الحياة الاجتماعية تسير بصورة تلقائية قائمة أساساً على الفطرة، ويحكم أطرافها العادات العامة والتقاليد السائدة بقصد تحقيق التنظيم والاستقرار الاجتماعي. وكان تسييس أو إدارة الأمور تعود غالباً إلى كبار السن والشيوخ. كما كان يلعب العرف والرأي العام في الجماعة دورا رئيساً في تنظيم هذه الجماعات أو المجتمعات الصغيرة المحلية، وكانت القبيلة تواجه أي مظهر من مظاهر الاختلال، باعتبار أن الوظيفة السياسية وحكم أفراد القبيلة يدخل في وظائفها أو اختصاصاتها الواسعة؛ إلا أن تطور المجتمعات إلى أنماط أكثر رقياً أدى إلى انتزاع الوظيفة السياسية منها، وتم إسنادها إلى هيئات متخصصة لحماية الأفراد وتنفيذ القواعد العامة المتفق عليها في مختلف أوجه الحياة الاجتماعية، وقد استحوذت هذه الهيئات سلطة إدارة أمور المجتمع من خلال العمل السياسي.

تباين النظم السياسية وارتباطها بالنظم الاقتصادية

النظم السياسية ليست واحدة في جميع المجتمعات، رغم تشابهها حالياً في وجود حكومات أو هيئات سياسية معينة لها نفس التسميات تقريبا؛ فالنظام السياسي يتأثر حسب بناء المجتمع ونظمه الاجتماعية والأفكار والفلسفات السائدة فيه؛ فالنظام السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية يختلف عنه في الصين الشعبية. فالارتباط جدّ وثيق بين كل من النظامين السياسي والاقتصادي القائم في كل منهما؛ فالأول بناء رأسمالي والثاني بناء اشتراكي. كذلك تختلف بينهما الأفكار والفلسفات السياسية والاقتصادية الذائعة الصيت بينهما. كما أن النظم السياسية في المجتمعات الأوربية تختلف في كثير أو قليل فيما بينهم كدول متجاورة، وأيضا إذا ما قورنت بمجتمعات دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

الزمن ووقت الفراغ

وإذا طرحنا ساعات العمل والوفاء بالحاجات الضرورية لاستطعنا حصر ساعات الفراغ اليومي والأسبوعي والسنوي خلال العطلات الموسمية؛ هذا الوعاء من زمن الفراغ، كان له الفضل وما يزال في التقدم المعرفي والعلمي والابتكاري لأبعاد المسافة المكانية والزمنية **(قارن بين الاختزال المكاني والزمني بالنسبة لوسائل النقل بالجمال والعربة والحصان والسيارات والطائرات والصواريخ الفضائية)** مثل هذه الاختراعات فرضت نفسها على أساليب ونوعيات الحياة على مستويات الأفراد والمجتمعات والشعوب وعالم البشر بصفة عامة؛ حتى أطلقت بنفسها مفاهيم **العولمة** على العلاقات الاقتصادية والسياسية والقومية والدولية، كذلك النسق القرابي والأسرى في علاقاتها البنائية وتغير هيكلها من الأنماط الزواجية الصغيرة إلى الممتدة

التقليدية إلى المعدَلة From Traditional to Modified Family **(انظر عبد المتعال)**، وذلك بسبب الحراك المكاني الجغرافي والآخر المهني المتضمن في كليهما متغير **الزمن**. وإذا كان **العمل** يشغل مساحة قد تبلغ ثلث أو نصف في الوعاء الفراغي للزمن، فإن **الترويح** Recreation هو الذي يطلق العنان للترفيه عن النفس والمجتمع بوسائل تشبع الحاجات الحيوية والفيزيقية من جهة، وحاجاته المعنوية والروحية من جهة أخرى Meta-Needs. إن بوتقة الزمن لزمن الفراغ قد تجمع بين الأضداد في استعمال وسائل ترويح مشروعة كممارسة عبادات وطقوس دينية وأخرى في ممارسة الهوايات الفنية والأدبية، وممارسة أنماط من الترويح العشوائي غير المرشَد، الذي ينحرف عن المشروعية العرفية والدينية، ويصبح أدوات هدم وتدمير للبنية القيمية والأخلاقية للمجتمع، وتصبح تكلفة الانحراف والجريمة عبئاً ثقيلاً على استقرار وأمن للمجتمع وسلامته.

وجدير بالذكر أن وقت الفراغ، باعتباره الجانب الآخر من عملة الزمن الذي يشغله وعاء العمل، أصبح في العصر الحديث المعاصر علماً فرعياً من فروع علم الاجتماع باسم SOCIOLOGY OF LEISURE؛ مما أضفى عليه أهمية جعلته في عيون الباحثين مجالا لبعضهم للتخصص الدقيق، متكاملاً مع علم الاجتماع الصناعي الذي طرق أبواباً في شئون العمالة؛ ومن ثم أملت الضرورة على توافق العمل مع الترويح في وقت الفراغ، وذلك قد ينفى الفكرة القديمة التي مؤداها أن المبرر الوحيد لوقت الفراغ هو أن نسترد النشاط العقلي أو البدني من خلال وقت الفراغ الذي يجب أن يشوبه استبعاد العمل تماماً في فترات الراحة والإجازات، وهذا فكر خاطئ "من وجهة نظر سيرل برت Burt في كتابه كيف يعمل العقل" إذ يقول أن أحسن النتائج للاستجمام ليست في التوقف عن العمل بل

في **تنويع العمل العقلي**، وما المستريح عن العمل على الإطلاق بمستفيد، ولكنه معرض للضرر؛ فهو في الحقيقة أقرب أن يصدأ منه أن يستجم، وهذا هو التوافق الأمثل بين العمل ووقت الفراغ.

وجدير بالذكر أن وقت الفراغ Leisure كانت تعنى في أصلها اللاتيني مدرسة Schola، وهو ذلك الوقت أو الزمن الذي كان يمضى أبناء الصفوة من المجتمع الإغريقى القديم في محاوراتهم الفلسفية للاستمتاع في وقت فراغهم بهذه المحاورات؛ مما أسفر عن بزوغ أشهر المفكرين والفلاسفة كسقراط وأفلاطون وأرسطو الذي كان يطلق عليه المعلم الأول؛ فالفراغ في مفهومهم الفلسفي يعنى الراحة والترويح والمكان الذي يجرى فيه النقاش، وتحول مع الزمن إلى مؤسسة تعليمية وهى المدرسة وما فوق ذلك من معاهد وكليات جامعية، وكان هذا له فضل على الإنسان في بناء حضارته منذ زمن الإغريقيين القدماء ومن تابعهم من حضارات أخر وعلى قمتها الحضارة الإسلامية في ابتكار المؤسسة التعليمية وعلى رأسها مؤسسة التعليم الأزهري.

وقد كانت المحاورات الفلسفية الإغريقية تجرى بين صفوة من طبقة الأحرار في وقت فراغهم؛ بينما كان الأقنان (العبيد) يغوصون في ظلمة الجهالة؛ ومن ثم رسخ في وجدان البشرية ثنائية التمييز بين العمل الفكري والآخر اليدوي أو العضلي. إن المردود الاجتماعي منذ ذلك الحين استمر عبر مختلف الحضارات، وانعكس في نظم التعليم إلى تعليم نظري وآخر عملي (كالتعليم الثانوي والآخر المتوسط كالصناعي)، ويستمر ذلك التمييز بين نوعيات العمالة والتوظيف دون اعتبار للقدرات الخاصة، وكان بين الحلول تأسيس نظام المدرسة الشاملة Comprehensive school.

كيف يساهم الوعي بالزمن في البناء الحضاري؟

أولاً يتم تحديد مفهوم الزمن لمعرفة مساهمته. الزمن فترة محدودة ترتبط بالوجود الدنيوي ولها بداية ولها نهاية. لذا الوجود الدنيوي مرتبط بالزمن. الحضارات ترتبط بالزمن. حياة الإنسان ترتبط بالزمن. هذا الزمن بالمفهوم القرآني للاستثمار لأنه مسخر من قبل الله، وهو من النعم التي سيحاسب عليها. مستقبل الإنسان ومصيره مرتبط بمدى استثمار الزمن. الاستثمار قد يكون بطرق ثلاث: أولاً: العبث أو عدم الحركة أي إهدار الزمن. ثانياً: في حرام وفي كل ما يضر الإنسانية. ثالثاً: وفق المنهج الإلهي أي ما ينفع وفي إطار دور الإنسان في الوجود وهو التعمير.

بالنظرة الثالثة أو الطريقة الأخيرة الزمن يجب تنظيمه وحسن استثماره فيما يحقق مصالح الإنسان الفردية (النفسية، الوجدانية، الروحية، الجسمية، العقلية)، ومصالحه الجماعية (العائلية، المجتمعية، الإنسانية...). الأخروية: وفق المنهج الإلهي ولغاية الفوز يوم القيامة. وهنا يتحقق الوعي بأهمية الزمن وبه تتحقق الفاعلية والبناء الحضاري.

الزّمن هو تأمل للإنسان (لآفاق الكون وفى النفس) من أجل أن يكتشف عظمة الله وقدرته كأساس لتثبيت إيمانه به سبحانه وتعالى، والزّمن هو قدرة مسخرة للإنسان من أجل أن يطور نفسه ويبني حضارته التي لا تتحقق إلا بحركته وإرادته للتغيير والتقدم. **(منزلة الزّمن في الفكر الإسلامي، الزمن والبناء الحضاري، خاص بجماعة الآداب).**

إذ إن حركة الإنسان هي حركة التاريخ وفي ركوده ركود للتاريخ **(كتابة تاريخية- دكتور قاسم عبده قاسم).**

التاريخ هو الحضارة في أحد معانيه؛ فالتاريخ والحضارة مترادفان يحملان معنى واحدًا؛ فالتاريخ يحمل قصة الإنسان في الكون، ورحلته عبر **الزمان**، وهى رحلة ما تزال مستمرة.

كانت خطوات الإنسان الأولى في مسيرته التاريخية هي نفسها خطواته الأولى في محاولة بناء الحضارة؛ ولهذا السبب كانت رحلة الإنسان، ورحلة تاريخه، ورحلة حضارته واحدة؛ ولهذا السبب كانت رحلة المعرفة التاريخية، أو «تاريخ التاريخ» موازية لرحلة الإنسان عبر **الزمان**، ومن ناحية أخرى، كانت الحضارة هي ما أنجزه الإنسان على المستوى المادي واللا مادي على امتداد هذه الرحلة وحتى الآن.

تاريخ البشرية واحد؛ ولكن تجليات هذا التاريخ مختلفة متباينة من زمن إلى زمن آخر، ومن مكان إلى مكان مختلف، ومن أمة إلى أمة غيرها، والحضارة الإنسانية واحدة ضرورية، قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ] (الانشقاق: ٦).

الكدح: بذل الجهد من أجل تحقيق الغاية ضدّ العبثيّة والتهميش.

كدح الإنسان هو بناء للذات والحضارة، وحركة نحو المطلق، وكما أشير سلفاً أن حركة الإنسان حركة التاريخ، وفي ركوده ركود للتاريخ.

الزمن مسيطر على الإنسان، حيث لا يكون بمقدور البشر التأثير على حركته والتحكم في وحداته، إنما هو يمضي حسب القانون الكوني الذي وضعه الله تعالى، وبذلك سيطرت الوحدات الزمنية على الأشياء والكائنات حتى أصبح **الزمان** هو الإطار الذي لا يمكن للإنسان أن يتحداه أو يخترق قوانينه.

الزّمن مادة تأمل ولكن تجلياتها مختلفة أيضاً، وآية ذلك أنك لن تجد أمة لها تاريخ منعزل تمامًا عن تاريخ الأمم الأخرى، ولن تجد حضارة لم تأخذ عن حضارة سابقة أو معاصرة أو مجاورة. صحيح أن لكل أمة تاريخًا خاصًا بها ويحمل بصمات هويتها الحضارية، وصحيح أيضاً أن لكل أمة حضارة شادتها عبر تاريخها؛ بيد أنها جميعا تبدو مثل روافد تصب في مجرى نهر واحد هو التاريخ الإنساني والحضارة الإنسانية.

ومن اللافت للنظر حقًا أن المؤرخين والباحثين وعامة المفكرين والمثقفين يتفقون على أن التاريخ علم موضوعه **الماضي الإنساني**. ولما كانت الحضارة محصلة ما أنجزه الإنسان في الماضي -وهو ما يصدق على الحضارات القديمة والحضارات المعاصرة بالقدر نفسه- فإن الماضي عنصر يجمع بين التاريخ والحضارة **(قاسم)**.

وثمة علاقة بين التقدم "باعتباره حتمية تاريخية" بالزمن؛ **فـ"التقدم" وليد تفاعل الإنسان مع الوجود والكون والطبيعة في إطار "الزمن"**؛ فحيث بقاء الإنسان "داخل الزمن" حيث يتواصل "التقدم"، وثمة اعتقاد لدى (رفاعة الطهطاوي) بخروج الإنسان من "الزمن" مع نهاية التاريخ. ويكفي أن تنظر إلى التاريخ لتعرف أن الإنسان يتقدم مع مروره. **(طبيعة التقدم الحضاري عند الطهطاوي. د. أمان عبد المؤمن قحيف)**.

وقد حاولت الآيات القرآنية أن تحرك عند الإنسان إحساسه الواعي من أجل أن يهتم بعمره، وأن يتعامل مع وحدات الزمن بحرص وموضوعية لئلا يمر عليه يوم دون أن يستثمره في نشاط إيجابي يقدم فيه الخير لنفسه ومجتمعه، حتى ورد في الحديث الشريف: «ما من يوم ينشق فجرهُ إلا وينادي يا ابن آدم أنا خلقٌ جديد، وعلى عملك

شهيد؛ فاغتنم مني فإني لا أعود إلى يوم القيامة»، وكذلك في حديث أكثر حركية وتسابقاً مع حركة الزمن: «لو قامت قيامة أحدكم وكان بيده فسيلة فليغرسها».

إنه **المنهج الإسلامي** الفريد الذي يعمّق الإحساس بالمسؤولية، ويزرع في النفس الشعور بقيمة الوقت واستثمار كل وحدة من وحدات الزمن التي تمر سريعة في حياة الإنسان، كما أوضح مالك بن نبي في شروط النهضة أن الوقت من العناصر الأساسية في بناء الحضارة إضافة إلى عنصري الإنسان والتراب فيقول ما مؤداه **أن الزمن نهر قديم** يَعبر العالم منذ الأزل ولكنه صامت........ لكنه في ساعات الخطر كما يُستقرأ من تاريخ الحضارات، أن تمتزج قيمة الزمن بغريزة المحافظة على البقاء، إذا استيقظت، ففي هذه الساعات التي تحدث فيها انتفاضات الشعوب لا يقوّم الوقت بالمال كما ينتفي عنه معنى العدم، إنه يصبح جوهر الحياة الذي لا يقدّر. وبتحديد فكرة الزمن، يتحدد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا.. هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد، هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط في تكوين المعاني والأشياء.

وتبدو أهمّية الزّمن في المجتمع من خلال البناء الحضاري، وهذا البناء الحضاري يتطلب عناصر ثلاثة:

ـ الإنسان: مصدر للفعل، التراب، مجال للفعل (الكون)، الوقت (الزمن) إطار الفعل.

وهذا يستوجب:

ـ **الإنسان**: إثبات الذّات، الفاعلية (نماذج اليابان وألمانيا وماليزيا.....).

ـ **التراب**: تعمير الكون، البناء الحضاري.

ـ **الوقت**: اغتنام الفرص ضدّ التواكل والتراخي.

لا تقدّم إلاّ إذا وعى الإنسان قيمة الزمن، وضرورة أن يكون فاعلاً.

فالحضارة زمن: وهي تراكم لجهد بشري ضخم يبنى عبر الوقت والأجيال والشعوب. والتاريخ هو تفاعل بين الزّمن والفعل الإنساني.

إن الإنسان الواعي بالزمن فاعل في واقعه، محرّك لزمنه، صانع لتاريخه، مبدع فيه جدليّ في ذاته.

فالزمن مسيطر على الإنسان؛ حيث لا يكون بمقدور البشر التأثير على حركته والتحكم في وحداته؛ إنما هو يمضي حسب القانون الكوني الذي وضعه الله تعالى، وبذلك سيطرت الوحدات الزمنية على الأشياء والكائنات حتى أصبح الزمان هو الإطار الذي لا يمكن للإنسان أن يتحداه أو يخترق قوانينه به سبحانه وتعالى.

الزّمن مادة للإنسان من أجل أن يطور نفسه.

الزّمن مادة للإنسان من أجل أن يبني حضارته.

من ناحية أخرى، وعلى مستوى الأسس الحضارية، يبين القرآن السنن التي وضعها الله في هذا الكون، وهي قوانين مطردة تحكم نظام الكون أخبرنا بها الله في كتابه لترشدنا حول منهجية الاستخلاف العامة، وتركنا أحراراً في اختيار الوسائل والطرق. من هذه السنن قانون التغيير: (إِنَّ اللهَّ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (سورة الرعد :١١) ، وقانون التدافع: (وَلَوْلا دَفْعُ اللهَّ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَّ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ) (سورة البقرة : ٢٥١) ، وقانون التداول: (وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُّ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ١٤٠)

إن البحث عن هذه السنن في كتاب الله المخلوق والمنشور ضرورة قرآنية، ودافع لتحقيق النهوض الحضاري؛ فهي تبين قوانين التغيير والتطور وعوامل صناعة الحضارات وأفولها: (فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلا) (سورة فاطر :٤٣)

هوامش:

*** التحليل الدوري للزمن (قاموس علم الاجتماع، جونسون) ١٩٨١**

إن التحليل الدوري الإحصائي في الزمن المعاصر هو أي تجميع وتصنيف للبيانات بشكل مقارن على مدى حقب من السنوات كما يحدث في الإحصاء السكاني للقوى البشرية. ويستخدم التحليل الدوري للزمن لتحديد اتجاهات التنوع الكبير للمؤشرات الاجتماعية، كما هو الحال في شئون الرأي العام والجريمة ومعدل الوفيات. ولو أنه عادة ما يستخدم لأغراض التوصيف؛ فإن التحليل الدوري للزمن يزداد استخدامه للتحقق من النماذج السببية. **(انظر: جوتمان ١٩٨١، كمبردج، لندن).**

*** تحليل ميزانية الوقت**

حساب ميزانية الوقت أو الزمن هو حساب مسجل عن كيفية استثمار البشر لأوقاتهم في تكوين المعاني والأشياء.

* Interview إن آلية ذلك أن تبدأ تسجيلاً تفصيلياً أثناء المقابلة الشخصية لاجترار الماضي. ومن المألوف أن ندرس المشاكل الاجتماعية المتنوعة، كما هو الحال في بعض المجتمعات الصناعية، حيث يستخدم تحليل ميزانية الوقت لاقتفاء آثار التغيرات في شئون الأسرة والعمل لمدى تقبل الحركة النسائية وموقعها في القوى العاملة.

* ثمة دراسات تشير في الأغلب الأعم عن مدى مشاركة الرجال في الأعمال المنزلية التي لم تتزايد عند اشتغال الزوجات خارج البيت، أو أن هذه الأشغال المنزلية ينكمش معدلها عندما يزداد عمل المرأة خارج المنزل، ونتيجة لذلك فإن النسبة المئوية لاشتغال الرجال تعلو نسبتها ليس بسبب عزوفهم عن المشاركة.

* يمكن الاستناد إلى المصادر التي ألفها أوكلي آن ١٩٧٤، وبيتريم سوروكن ١٩٣٩ عن ميزانية الزمن إزاء السلوك الإنساني، بمركز الدراسات السسيولوجية بجامعة هارفارد ج/٢ وطومسون و ووكر ١٩٨٩ في النساء والرجال في حالات الزوجية العمل والوالدية وزمن في دورية الزواج والأسرة ١٩٥١ (قاموس علم الاجتماع م/س).

ثبت لبعض المراجع:

* The free encyclopedia From Encyclopedia Britannica Wikipedia,

* **زينب عبد العزيز: مبحث الزمان في الفكر الفلسفي والإسلامي.**

* **فائز فوق العادة،** http://www.maaber.org/issue * The Blackwell Dictionary، Allan G Johnson .

* **بيترم سوروكن** Sorokin Pitirim، **الدورية الأمريكية لعلم الاجتماع** American Journal of Sociology. **في الزمن الاجتماعي** Social Time **تحليل بنائي وظيفي، في الدورية الأمريكية لعلم الاجتماع.**

* **على شاكر الفتلاوى، سيكولوجية الزمن. وفى مجال سوسيولوجيا الزمن ناقش إميل دوركيم** (Emile Durkheim 1858-1917).

* **هربرت جورج ويلز، آلة الزمن، ترجمة كوثر محمود محمد استخلص (الفتلاوى) من دراسة لنيوستروم ودافيز** Newstrom and Davies**، أن بعض الثقافات تركز على قيم ضرورة التهيؤ والاستعداد للمستقبل.**

* **أحمد أبو زيد، تايلور. دار المعارف، ١٩٥٧**

* إبراهام ماسلو، في هرم الحاجات ١٩٠٨ - ١٩٧٠ wikipedia.org/wiki

* أولج زينام Oleg Zinam ١٩١٨-١٩٩٤: د. بغدادي عبد المنعم في بحث متقدم "الفرق الحضاري بين الزمن العولمي والزمن الرمضاني".

* منظور الزمن في تشريعات القصص وأحكام الزواج والفراق، آيات من سورة البقرة ١٨٩/(٢٢٦-٢٣٠)/٢٣٣-٢٣٧

* صلاح عبد المتعال. مقدمات في علم الاجتماع. ٢٠١٥

* صلاح عبد المتعال وآخرون: أثر تدفق الثروة النفطية على القيم الاجتماعية، الأمم المتحدة، طوكيو: اليونسكو التدرج الهرمي في سلم القيم، المركز الإقليمي العربي، ١٩٨٢.

* صلاح عبد المتعال، مستقبل التنمية دار الشرق الأوسط، القاهرة ١٩٩١

* صلاح عبد المتعال، التنمية العربية والمعوقات الديموجرافية (مواجهة حضارية) المائدة المستديرة "السكان في الوطن العربي يونسكو & المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في العلوم الاجتماعية، الجامعة الأردنية، عمان ١٩٨٤، انظر: فصل ١ من باب ٢.

* قاسم عبده قاسم كتابة تاريخية التاريخ، دار عين القاهرة.

* شمس الدين عروة (إسلام أون لاين).

* د. جيلالى أبو بكر شروط التجديد الحضاري في فكر مالك بن نبي ٢٠١١

* رضا سعد الله، مفهوم الزمن في الاقتصاد الإسلامي.

* جماعة الأدب، الزمن والبناء الحضاري،

* سماحة الشيخ الصفار. الزمن في مهمة التغير الاجتماعي (موقع الشيخ حسن

الصفار).

*** مجلة فكر الثقافية، بالأرقام قياس زمن المستخدم في شبكات التواصل الاجتماعي ٢٠١٥**

* هل كان تشارلز ديكنز "صاحب فكرة السفر على الزمن" BBC Arabic

*** المنظور الحضاري الإسلامي لوقت الفراغ، مجلة الوعي الإسلامي، نشر في ثقافة وفن.**